دعوة نوح عليه السلام
عند الشيخين محمد أحمد العدوي وعفيف طبارة
دراسة تحليلية

إعداد

د/ عبد الرحمن ماهر عطية جمعة

مدرس في قسم الدعوة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر

من ١٠٦٣ إلى ١١٥٢

Noah's Call According To The Two Sheikhs Muhammad Ahmed Al-Adawi And Afif Tabbara - An Analytical study

DR/Abd El , Rahman Maher Attia Juma

Department Of Da'wah And Islamic Culture, Faculty Of Fundamentals Of Religion And Da'wah In .Mansoura, Al-Azhar University, Egypt

دعوة نوح عليه السلام عند الشيخين محمد أحمد العدوي وعفيف طبارة
دراسة تحليلية

عبد الرحمن ماهر عطية جمعة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: Abugomaa26@gmail.com

الملخص:
يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف، كان من أبرزها توطين النفس على تحمل المشاق أثناء القيام بمهمة البلاغ ، واستخدام وسائل العصر المتاحة والمشروعة الجاذبة لأنظار المدعوين، وسلطت الضوء على أسس دعوة نوح عليه السلام لقومه، أهمها : التأكيد على عبادة الله وحده، وعدم سؤال الأجر على الدعوة ، وقمت بذكر موقف قوم نوح من هذه الدعوة المباركة ، وكان من أهم ذلك: رفض نبوة البشر، وعدم الاستجابة لأن أتباعه من الأراذل، والعمل على كيل التهم لنوح عليه السلام، ولأتباعه، ولدعوته ، ثم اتجهت نحو الحديث عن المستفاد من دعوة نوح عليه السلام لقومه، وكان من أهم ذلك بلاغة القرآن في وصف الطوفان، والمساواة بين المدعوين وأن التقوى هي مقياس التفاضل وكان من أبرز النتائج : الجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة ، والدعوة بالآيات الإنسانية والكونية لاسيما في دعوة غير المسلم.

وكان من أبرز التوصيات: إخراج موسوعة دعوية تعنى بمنهجية الرسل حال دعوة أقوامهم بمشاركة أهل التخصص تحت إشراف جامعة الأزهر الشريف، للبعد عن الغلو، وللحفاظ على الوسطية ، واستخدمت المنهج التحليلي للوصول إلى نتيجة حسنة من خلال شرح كلام الشيخين للعمل على إرساء معالم الدعوة الصحيحة القائمة على اللين وتجنب التطرف والتشدد.

الكلمات المفتاحية: دعوة نوح عليه السلام، العدوي، طبارة، تحليلي.

Noah's Call According To The Two Sheikhs Muhammad Ahmed Al-Adawi And Afif Tabbara - An Analytical study

Abd El , Rahman Maher Attia Juma
Department Of Da'wah And Islamic Culture, Faculty Of Fundamentals Of Religion And Da'wah In Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Abugomaa26@gmail.com

Abstract :
This research aims to achieve several goals, the most prominent of which was the localization of the soul to endure hardships while carrying out the task of communication, and the use of available and legitimate means of age that attract the attention of the invitees, and highlighted the foundations of Noah's call to his people, the most important of which are: Emphasizing the worship of God alone, and not asking the reward for the call, and you mentioned the position of Noah's people from this blessed call, One of the most important of this was: rejecting the prophecy of humans, and not responding because his followers are vices, and working to charge Noah, and his followers, and his call, and then tended to talk about the benefit of Noah's call to his people, and the most important of that was the eloquence of the Qur'an in describing the flood, and equality between the invitees and that piety is the measure of differentiation and one of the most prominent results was: combining incitement and intimidation in the call, and the call for human and universal verses, especially in the call of non-Muslims.
One of the most prominent recommendations: the output of an advocacy encyclopedia concerned with the methodology of the messengers if inviting their people with the participation of specialists under the supervision of Al-Azhar University, to stay away from exaggeration, and to maintain moderation, and used the analytical method to reach a good result by explaining the words of the two sheikhs to work to establish the features of the correct call based on softness and avoid extremism and extremism.

.Keywords: Noah's Call, Infection, Tabbara, Analytical

المقدّمة:

من رحمة الله تعالى أن أنزل كتباً وأرسل رسلاً ليخرجوا الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام وسماحته ويسره ووسطيته، فاستجاب لهم مَنْ شرح الله له صدره، وأعرض عن الهدى مَنْ أضله الله وختم على قلبه، وكانت دعوة الرسل جميعاً وفق الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى، وكان على رأس هؤلاء الأنبياء بل وفي مقدمتهم نوح ﷺ، الذي ظل داعية في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، واستخدم أفضل السبل، وأنفع الوسائل، وأنجح الأساليب، مما لفت أنظار العلماء والدعاة للكتابة عن هذه الدعوة المباركة، وكان من بينهم الشيخ محمد أحمد العدوى، والأستاذ عفيف عبدالفتاح طبارة، فأحب الباحث الوقوف على ما كتبا بصدد دعوة نوح ﷺ لتزويد الدعاة بخير زاد بعد تقوى الله سبحانه وهو كيفية دعوة الآخرين لاسيما إذا كانوا على غير الإسلام، ومدى تقبل ما يصدر من المدعوين بصبر واحتساب، ومعرفة الآثار والدروس المستفادة من وراء هذه الدعوة، ومن هنا تظهر أهمية الموضوع.

أهمية الدارسة:

تتضح أهمية هذا البحث في ضوء النقاط التالية:

١) التركيز على الأصول والكليات، حيث إن نوحاً ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد مما ينبه الدعاة على الاهتمام بهذا الأصل الأصيل.

٢) العزيمة القوية التي هيئت نوحاً ﷺ للاستمرار في دعوته دون انقطاع مما يعلم الدعاة الصبر على الدعوة وعدم استعجال النتائج المطلوبة والثمرة المرجوة.

٣) الدعوة بما يناسب العصر، حيث إن نوحاً ﷺ دل قومه على التفكر في الآيات الكونية والإنسانية مما يعطي للدعاة فرصة الحديث عن هذه الآيات في ضوء التكنولوجيا المعاصرة المتطورة.

٤) النزاهة الواضحة والتجرد التام، مما يحفز الدعاة على الورع دون النظر لما في أيدي المدعوين من متاع الدنيا.

٥) الموازنة بين الأمور، حيث إن نوحاً ﷺ جمع بين الترغيب والترهيب مما يدل الدعاة على اختيار أوسط الأحوال دون ترجيح حال على آخر.

أسباب اختيار الموضوع:

لأجل أهمية البحث برزت أسباب اختياره على النحو التالي:

١) الاقتداء بنبي الله نوح ﷺ حيث إنه أول رسول إلى أهل الأرض مما يعطي للدعاة قيمة وقدم دعوتهم وأصالتها التاريخية.

٢) الوقوف على أسلوب كتابة الشيخين عن دعوة نوح ﷺ مما يجعل الدعاة في شغف للوقوف على ما سطروه عن سائر دعوات الأنبياء عليهم السلام.

٣) التعرف على أساليب الطعن، حيث إن قوم نوح ألقوا على نبيهم التهم، مما يهيئ الدعاة للصبر على طريق الدعوة وعدم المفاجئة بما يصدهم من افتراء بعض المدعوين.

٤) الوقوف على الكم البلاغي الوراد في وصف القرآن للطوفان مما ينبه الدعاة على أهمية علم العربية عامة وعلم البلاغة خاصة.

٥) التعرف على المساواة التي نادي بها نوح ﷺ، مما يدل على بث روح الأخوة بين المدعوين ورفض التقسيم القائم على المادية المفرطة.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج التحليلي، والذي يقوم على قراءة النص قراءة جيدة واستخراج منه ما يناسب المجال الدعوي، سواء فيما يتعلق بالدعاة أم المدعوين أم ذات الدعوة وموضوعها.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على سجلات رسائل الماجستير والدكتوراه، وبعد البحث على شبكة الإنترنت لم أجد موضوعاً يحمل هذا العنوان، ولا ما يشابهه، فأحببت المشاركة بسد ثغرة من الثغرات.

حدود البحث:

يركز البحث على دعوة نوح ﷺ لقومه في ضوء تعليقات الشيخ محمد أحمد العدوي وكتابه "دعوة الرسل إلى الله تعالى" وتعليقات الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة وكتابه "مع الأنبياء في القرآن الكريم .... قصص ودروس وعبر من حياتهم" دون التخطي إلى غيرهما من علماء الأمة ودعاتها، لعدم مخالفة

المنهجية الأكاديمية العلمية.

مشكلة البحث:

يظن الكثير من أصحاب التخصصات العلمية الأخرى أن الدعوة الإسلامية لا تراث لها يتعلق بتاريخ الدعوة وسيرة ومسيرة الأنبياء عليهم السلام، فجاء هذا البحث ليرفع الظن المبني على الخيال، وليثبت جهود الدعاة في التأصيل لهذا العلم من خلال سيرة دعوة نبي واحد، وهو نوح ﵇، فكيف لو اطلعوا على سائر دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟!!

تساؤلات الدراسة:

هناك عدة تساؤلات يعمل البحث على الإجابة عليها على النحو التالي:

- هل بدأت دعوة نوح ﵇ بالدعوة إلى التوحيد أم بدأت بقضية أخرى؟
- هل استمرت الدعوة إلى نهاية المطاف أم أصابها انقطاع وتخللها فتور؟
- هل وازنت الدعوة في الجمع بين الترغيب والترهيب أم رجحت أحدهما على الآخر؟
- هل استخدم نوح ﵇ الدعوة بالآيات الكونية والإنسانية أم لا؟
- هل للجدال الحسن قيمة في المجال الدعوي أم لا؟ وهل ظهرت قيمته في تمكن نوح ﵇ حال دعوة قومه أم لا؟
- ما أثر نزاهة الداعية وورعه حال دعوته؟
- ما العلل الواهية التي استند إليها قوم نوح في رفض نبوة نوح ﵇؟
- هل كان التوكل على الله وقوة العزيمة لهما الأثر الإيجابي في دعوة نوح ﵇؟
- هل دعا نوح ﵇ على قومه مع أول وهلة وأول عناد؟

هذه التساؤلات وغيرها يجيب البحث عنها إن شاء الله تعالى في ضوء فصوله الثلاث.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق النقاط التالية:

١) توطين النفس على تحمل المشاق وتخطي العقبات أثناء القيام بمهمة البلاغ.

٢) توسيع أفق الدعاة باستخدام وسائل العصر المتاحة والمناسبة والجاذبة لأنظار المدعوين.

٣) تفعيل أسس المساواة، وتجنب الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع الدعوي.

٤) تنشيط أذهان الدعاة للوصول إلى أسمى السبل الآخذة بأيدي المدعوين إلى الاستجابة.

خطة البحث:

تكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع – أسباب الاختيار – منهج البحث – الدراسات السابقة – حدود البحث – مشكلة البحث – تساؤلات الدراسة – أهداف الدراسة.

أما التمهيد فقد اشتمل على ترجمة لشخصيتي البحث.

أ) ترجمة الشيخ محمد أحمد العدوي.

ب) ترجمة الأستاذ عفيف عبدالفتاح طبارة.

أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان "أسس دعوة نوح عليه السلام لقومه"

وقد احتوى على ستة مباحث:

المبحث الأول: التأكيد على عبادة الله وحده.

المبحث الثاني: استمرارية الدعوة بلا انقطاع.

المبحث الثالث: الجمع بين الترغيب والترهيب.

المبحث الرابع: لفت الأنظار للآيات الإنسانية والكونية.

المبحث الخامس: إقامة الحجة بالجدال الحسن.

المبحث السادس: عدم طلب الأجر على تبليغ الدعوة.

أما الفصل الثاني: فقد جاء تحت عنوان "موقف قوم نوح من دعوة نوح عليه السلام"

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رفض نبوة البشر.

المبحث الثاني: أرذلية الاتباع.

المبحث الثالث: إلقاء التهم.

أما الفصل الثالث: فقد جاء بعنوان: "المستفاد من دعوة نوح ﷺ لقومه" وقد تكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: بلاغة القرآن في وصف الطوفان.

المبحث الثاني: أسبقية القرآن في الإخبار عن الحقائق العلمية.

المبحث الثالث: التوفيق بين الطبقات.

المبحث الرابع: حسن التوكل على الله تعالى.

المبحث الخامس: شرعية الدعاء.

وأما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج، وأهم التوصيات، ومصادر البحث ومراجعه، وفهرست الموضوعات.

هذا، وقد بذلت وسعي في إخراج هذا البحث بشكل حسن، موضوعاً ومضموناً، فإن كان من توفيق فمن الله وحده، وإن كان من نقص أو سهو أو خطأ فهذه هي طبيعة البشر، وأرجو من أساتذتي النصح والتوجيه، والعفو عن تقصيري، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

ترجمة شخصيتي البحث

قبل الشروع في دعوة نوح ﷺ يحسن بي أن أقف على ترجمة شخصيتي البحث وهما الشيخ محمد أحمد العدوي، والأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: ترجمة الشيخ محمد العدوي:

اسمه:هو الأستاذ الشيخ محمد أحمد العدوي، المصري، الأزهري.

أعماله ومناصبه:تم اختياره ضمن لجنة تفسير معاني القرآن الكريم "فقد أصدرت مشيخة الأزهر قراراً بتأليف لجنة لتفسير القرآن الكريم توطئة لترجمته من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة، وذكر منهم: والشيخ محمد أحمد العدوي من كلية أصول الدين"[١]

وهذا يدل على مكانته العلمية لأن مشيخة الأزهر الشريف لا تختار إلا الأكفاء، لا سيما في مجال تفسير ومعاني القرآن الكريم.

- عمل مدرساً وواعظاً رسمياً: فقد قال عنه الشيخ محمد رشيد رضا "صديقنا الأستاذ الشيخ محمد أحمد العدوي، أحمد علماء الأزهر المشتغلين بالسنة، ومدرسي القسم العالي فيه، ووعاظ المساجد الرسميين" [٢].

وقال عنه في موضع آخر "الأستاذ محمد أحمد العدوي، الأستاذ بكلية أصول الدين" [٣].

ووصفه في موضع آخر بوصف يدل على رسوخه العلمي وتفوقه الدعوي، فقال "الأستاذ الفاضل صاحب المصنفات المفيدة الشيخ محمد أحمد العدوي من نابغي علماء الأزهر" [٤].

---

[١] مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا، ت ١٢٨٨ هـ، عدد (١٧٥) ، ص ٦٨ – ٦٩

[٢] مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٢٥٤ هـ وغيره من المجلة، ص ٢٨ ، ص ٣٩٧

[٣] المصدر السابق، ص ٣٥ ، ص ٢٠١

[٤] المصدر السابق ص ٣٣ ، ص ٦٩٧

- كتب في أشهر مجلات عصره "فكتب في جريدة كوكب الشرق وهو يرد على طه حسين" [١].

- وكتب في مجلة الرسالة وهو يتحدث عن كرم وضيافة أهـل مصـر للغرباء والنزلاء من طلاب العلم[٢].

وهذا يدل على مواكبته لعصره، وعدم انعزاله لمجتمعـه، وهـو بهـذه الكتابات يحث الدعاة على الاهتمام بالواقع المعاصر وإيجاد ا لحلول المناسبة لمشاكله.

زمنه وعصره:

عاصر الشيخ محمد أحمد العدوي فترة الاحتلال البريطاني لمصر، وكتب عن هذا الاحتلال وظلمه واستبداده في أشهر كتبه، وهو كتاب "دعوة الرسل إلى الله تعالى" فذكرهم عند قول الله تعالى عن قوم عاد "وإذا بطشتم بطشـتم جبارين" [٣] فقال "وما أقرب ذلك الوصف الذي يصف به نبي الله هود قومه عاداً إلى غلاة المستعمرين ، ودول الحضارة اليوم، إذا سلطهم الله على شعب من الشعوب، بطشوا به بطش الجبابرة، وأذاقوه العذاب ألواناً فيتموا الأطفال، وسبوا النساء، وهتكوا الحرمات، ومزقوا المصاحف، وقتلوا الأبرياء، وهذه آثارهم في كل مكان تشيب الطفل، وتضج لها الإنسانية، ويغيض لهـا مـاء الحياة" [٤].

وهذه رسالة لكل داعية أن يدرس واقعه دراسة متأنية، ووصفه وصـفاً دقيقاً، مع وضع خطة للعلاج الناجع، فالشيخ محمد العدوي لم ينشغل بالدعوة فحسب، بل ضم إلى ذلك الحديث عن معاناة الشعب المصري وما يلاقيه من

---

[١] المعارك الأدبية، أحمد أنور سيد أحمد الجندي، ت ١٤٢٢ هـ، ص ٣٤٦، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٨٣ م

[٢] ينظر: مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا، عدد (٤٥٨)، ص ٤٩

[٣] سورة الشعراء الآية رقم (١٣٠)

[٤] دعوة الرسل إلى الله تعالى، تأليف الشيخ محمد العدوي، ص ٢٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م

الاحتلال البريطاني آنذاك.

مكانته العلمية:

ألف الشيخ محمد أحمد العدوي كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) "وعرض كتابه هذا على وزارة الأوقاف لتقرر إرشاد خطباء المساجد التابعة لها ووعاظها على الاستعانة به على عملهم، فندبت لجنة من كبار علماء الأزهر لفحصه ثم قررت (تحت رقم ١٢٨٢ سنة ١٣٤١): إن هذا الكتاب صالح لأن يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في إلقاء مواعظهم ودروسهم" [١] وهذا التقرير يدل على أن الشيخ محمد العدوي أتقن وضبط وتوسع في تأليف هذا الكتاب حتى نال إعجاب كبار علماء الأزهر الشريف آنذاك.

مصنفاته ومؤلفاته:

لقد ترك الشيخ تراثاً كبيراً للمكتبة الإسلامية بصفة عامة، وللتخصص الدعوي بصفة خاصة، فانتهل القاصي والداني من علمه، ومن مصنفاته، وهي على النحو التالي: آيات الله في الآفاق – التوحيد أو العقائد الإسلامية – أصول في البدع والسنن[٢].

– دعوة الرسل إلى الله تعالى، "وهو كتاب إصلاح ودين وخلق، يحتاج إليه الوعاظ ورجال السياسة والأخلاق يتعزى به المصلح عما يناله من أذى، وما يوضع في سبيله من عقبات، ويجد فيه المؤمن ما يقوي يقينه، ويثبت فؤاده"[٣]

– مفتاح الخطابة والوعظ – الشرح الجديد على جوهر التوحيد [٤].

---

[١] مجلة المنار، مصدر سابق ، عدد (٢٨)، ص ٣٩٧

[٢] دعوة الرسل، الشيخ محمد أحمد العدوي، ص٥٣٢ في ملحق للكتاب

[٣] مقدمة وغلاف دعوة الرسل إلى الله تعالى، ص ١

[٤] ينظر: مقدمة كتاب دعوة الرسل للشيخ محمد العدوي، ص ١٩، اعتنى به أبو عبدالله عمرو الشرقاوي، مركز تفكر للبحوث والدراسات.

ثناء العلماء عليه:

لقد حظي الشيخ محمد العدوي بثناء العلماء المعاصرين له، وكان على رأسهم الشيخ محمد رشيد رضا، حيث قال في حقه "الأستاذ الفاضل، العالم العامل، الشيخ محمد أحمد العدوي، صاحب كتاب مفتاح الخطابة والوعظ، ورسائل أخرى في هداية الكتاب والسنة، أحمد علماء الأزهر الذين شرفهم الله باضطهاد العلماء الجامدين الخرافيين لهم وبمنعم من التدريس في الأزهر لإيثارهم هدي الله على ما يخالفه من تقاليد المتفقهين، ونظريات المتكلمين، وخرافات القبورين"[١].

وهذا الثناء يدل على تبحر الشيخ محمد العدوي ورسوخه في العلم، حيث إنه رفض الجامدين في التعامل مع النصوص الشرعية، ولم يرض بأحوال الخرافيين الذين لم يضبطوا أنفسهم بميزان الشرع والاعتدال، فعملوا على اضطهاده ومنعه من التدريس، وهذا هو طريق العلماء الصادقين، طريق الابتلاء والمحن، مع الصبر والاحتساب.

إنصافه للمجتهدين من علماء عصره:

مما هو معلوم أن الإنصاف عزيز، ولا يتصف به إلا مَنْ علت مكانته في العلم وعرف قدر أقرانه وشيوخه، وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد أحمد العدوي، حيث أثنى على تفسير المنار قائلاً "تفسير المنار فيما أعلم هو أمثل تفسير يتناسب مع روح العصر الحاضر، يتجلى فيه للقارئ عظمة التشريع الإسلامي بأسلوب جذاب، يفيض على قارئه هداية، ويبعث فيه روح الحياة العملية، ويعده لأن يكون عالماً دينياً، وباحثاً اجتماعياً، وأستاذاً أخلاقياً، يريه أسباب تفرق الأمة، ثم يعرفه كيف يجمع شملها، ويبين له ما أدخله أعداء الدين عليه من البدع والمحدثات، ثم يرسم له طريق تطهيره منها..."[٢].

وبناء على ذلك فينبغي للدعاة الإقرار بمزايا إخوانهم والاعتراف بقدراتهم وإمكاناتهم الدعوية والعلمية كما صنع الشيخ محمد أحمد العدوي تجاه معاصره

---

[١] مجلة المنار، مصدر سابق، عدد (٣٣)، ص ٦٤٠

[٢] المصدر السابق، عدد (٢٦)، ص ٥٥٢

الشيخ محمد رشيد رضا وتفسيره المنار.

ثانياً: ترجمة الشيخ عفيف طبارة:

بما أن الشيخ عفيف طبارة مات منذ عامين فقط فإن غالب ترجمته من على شبكة الإنترنت والمواقع الالكترونية دون المراجع الأصيلة لاسيما وأنه لم يترجم لنفسه، ولم يؤلف مذكرة عن حياته فيما أعلم.

- الاسم:عفيفعبد الفتاح طبارة.
- مولده:ولد في مدينة بيروت في لبنان الموافق هجرياً ١٣٤١ الموافق ميلادياً ١٩٢٣م ونشأ في أسرة لبنانية متوسطة الحال بمنطقة الطريق الجديدة في بيروت.
- الدراسة:درس بالكلية الشرعية لمدة "٤" سنوات، وبعد تخرجه عمل مدرساً في مدرسة "عمر الفاروق" التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية لمدة "٦" سنوات.
- اتقانه للخط العربي:كان الشيخ عفيف طبارة حسن الخط، وتعلمه على يد الخطاط اللبناني كامل البابا، والخطاط السوري بدوي الديراني، وعلَّم ذلك في الكلية الشرعية.
- طلبه للعلم:تلقى علومه على أيدي كبار علماء بيروت، وعلى يد بعثة الأزهر الشريف التي كانت تُدرس في الكلية الشرعية في بيروت، ممن لهم معرفة وافرة باللغة العربية وآدابها، وبالعلوم الشرعية، ولم يتسن له السفر إلى الأزهر الشريف لإكمال دراسته بسبب ظروف الحياة وحاجة أسرته إليه.
- مشايخه:مما هو معلوم أن الداعية لا ينضج فكرياً ولا يستقيم منهجياً إلا في ظل رحاب مجالس العلماء المعتبرين الراسخين في العلم، وهذا ما صنعه الشيخ عفيف طبارة، فقد تلقى العلم الشرعي على أيدي مشايخ مشهورين في بيروت، على رأسهم "محمد توفيق خالد" مفتي لبنان، والشيخ حسن دمشقية، شيخ القراء، والشيخ عبدالله العلايلي، العالم اللغوي، والشيخ خالد مشنوق من علماء حماة، والذي تأثر به الشيخ عفيف طبارة، وكان من أسباب توجهه إلى العلم الشرعي.
- مناصبه:من نعمة الله تعالى على الدعاة أن استخدمهم لخدمة الدعوة

الإسلامية، واستعملهم في إظهار صورة الداعية الحسنة، وكان من مناصبه: مستشار بمحكمة الاستئناف – عضو بمجلس العدل والقضاء الشرعي – وبه قام بتنظيم دائرة الأوقاف الإسلامية – انتخب عام ١٩٥٧م نائباً عن مدينة طرابلس بمجلس النواب اللبناني – انتخب مفتياً لشمال لبنان– انتخب عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. وهكذا الداعية الحصيف يمارس حياته بفطنة وحكمة دون انعزالية للمجتمع، لأن الانعزالية من أسوء الصفات السلبية التي لا تتناسب مع مكانة الدعاة وسمو مهمتهم المنوطة بهم.

▪ مؤلفاته:لقد ترك الشيخ عفيف طبارة للمكتبة الإسلامية بوجه عام، وللمكتبة الدعوية التخصصية بوجه خاص، مؤلفات عديدة ونافعة، منها:

- الخطايا في نظر الإسلام.
- مع الأنبياء في القرآن الكريم، قصص ودروس وعبر من حياتهم، وهو محل الدارسة.
- اليهود في القرآن.
- روح القرآن "تفسير سورة المائدة".
- روح الصلاة في الإسلام.
- عظمة القرآن.
- روح الدين الإسلامي، وهو من أشهر كتبه في الوسط العلمي والدعوي.

▪ حسن التصنيف:امتاز الشيخ رحمه الله – من خلال قراءتي لبعض كتبه – بالجمع بين القوة العلمية وحسن العرض وتعدد الأساليب مما أتاح للمتخصصين، وللعامة، الاستفادة من مؤلفاته، فكل يجد بغيته، لجمال الأسلوب، وتبسيط المعلومة، وهذا القبول لا دخل للداعية فيه، وإنما هو فضل الله يعطيه لمن صدق وأخلص، كما هو حال أعلام الإسلام عبر القرون المتتابعة.

▪ سر التوفيق والتفوق: من أعظم الأمور الي بها تفوق الشيخ عفيف طبارة في دعوته وفي مؤلفاته: تمكنه في اللغة العربية بجميع علومها وفروعها، وتبحره في علم البلاغة، وظهر ذلك جلياً في الدروس المستفادة من خلال دعوة الأنبياء، لاسيما الدروس المستفادة من دعوة سيدنا نوح عليه السلام، فقد

ظهرت براعته اللغوية في وصف أحداث الطوفان، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الداعية الناجح في دعوته لا بد وأن يستقيم لسانه لغة، وأن يسلم من العيوب والأخطاء، لاسيما وأن أداة الداعية الأولى هي لسانه، فحري بكل داعية تقويم مواطن الضعف، وتصحيح مواضع العثرات .

▪ وفاته: بعد حياة حافلة بالجهاد العلمي والدعوي لقي الشيخ عفيف طبارة ربه يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٤٤٤ هـ الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٢٢م عن عمر زاد على مائة عام هجري ودفن في بيروت ، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، هو وعلماء ودعاة المسلمين. [١]

وبعد هذه الترجمة القصيرة يتوجه الباحث إلى الفصل الأول من هذه الدراسة، والذي هو بعنوان "أسس دعوة نوح عليه السلام لقومه".

---

[١] ينظر في ترجمته: عفيف طبارة والثقافة الإسلامية في لبنان، رضوان السيد، أساس ميديا، منشور ٢٠٢٢/٩/١٩م، وينظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة.

الفصل الأول
"أسس دعوة نوح ﷺ لقومه"

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: التأكيد على عبادة الله وحده.
المبحث الثاني: استمرارية الدعوة بلا انقطاع.
المبحث الثالث: الجمع بين الترغيب والترهيب.
المبحث الرابع: لفت الأنظار للآيات الإنسانية والكونية.
المبحث الخامس: إقامة الحجة بالجدال الحسن.
المبحث السادس: عدم طلب الأجر على تبليغ الدعوة.

تمهيد:

إن أي دعوة مرهون نجاحها وتقدمها إلى الأمام وفق الأسس التي تسير عليها وتستند إليها، فإذا كانت تسعى إلى تحقيق أهداف إيجابية وفق أسس سليمة لاقت قبولاً، وانشرح صدر المدعوين لها، وإن كانت تسير ارتجالية دون معالم تضبطها أو أسس تحدها كانت النتائج عكسية، وإن الناظر لدعوة نوح عليه السلام في ضوء كتابة الشيخين يرى أنها بلغت حد الكمال ووصلت إلى ذروة التمام في الأسس التي انتهجها حال دعوة قومه، وهو ما ستتم الدراسة حوله من خلال هذا الفصل الأول، والذي يبدأ مبحثه الأول بـ "التأكيد على عبادة الله وحده".

المبحث الأول: "التأكيد على عبادة الله وحده"

مما هو معلوم أن الله سبحانه خلق الخلق على الفطرة السوية كما قال عليه الصلاة والسلام "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[١]

فعامل التربية له أثر كبير في نفس الإنسان ، وكذلك تزيين الشيطان للمعتقدات الفاسدة له أثر سيء على البشرية كما جاء في الحديث " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطان.[٢]

وسار الناس أزمانا عديدة على التوحيد الصافي والعقيدة الصحيحة الخالية من كل نقص أو شرك إلى أن جاء قوم نوح وعبدوا الأصنام عن طريق التدريج فعن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فلما اختلفوابعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة[٣].

ومن هنا أرسل الله نوحاً عليه السلام لإعادة الناس إلى المنبع الصافي والعقيدة السوية فقد قال عبدالله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما عبدت الأصنام، أن قوماً صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتهم، فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان،

---

[١]جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ك الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه، جـ٢، ص٩٤ حديث رقم (١٣٥٨) الناشر دار طوق النجاة ، ط (١)١٤٢٢هـ .

[٢]جزء من حديث رواه الامام مسلم في صحيحه ، ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار جـ٤، ص ٢١٩٧ حديث رقم (٢٨٦٥) الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

[٣]المستدرك على الصيحين، للإمام الحاكم، جـ٢،ص ٤٨٠ أثر رقم (٢٦٥٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م

جعلوا تلك الصور أجساداً على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين «ودا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، فلما تفاقم الأمر بعث الله ﷻ رسوله نوحاً يأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له [١]وبدأ نوح ﵇ بدعوة قومه إلى التوحيد وجعل ذلك نصب عينيه ليلاً ونهاراً ، وكل الآيات التي ذكرت شأن نوح﵇ مع قومه أوضحت أنه اهتم اهتماماً بالغاً بأمر التوحيد وبدأ به ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قول الله تعالى (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) [٢]

وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى أهمية الدعوة إلى التوحيد وأن نوحاً ﵇ أعطاه الباع الأكبر والنصيب الأوفر من دعوته فقال (لقد كان أول شيء بدأ به نبي الله نوح ﵇ قومه أن دعاهم إلى عبادة الله وحده، ولا عجب ، فإن الدعوة إلى التوحيد هي أساس كل رسالة، وقد بذلوا في سبيل التوحيد أكثر وقتهم، وخاطروا بمهجهم وأرواحهم، يتجلى ذلك في سيرة نبي الله إبراهيم ، وما لاقاه من قومه عبدة الأوثان، ولم يشأ نبي الله نوح أن يدعو قومه إلى التوحيد دعوة خالصة من تخويفهم من عذاب الله وبطشه ، فقال بلسان الخائف المشفق " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، وهو يوم القيامة أو اليوم الذي يتنزل عليهم فيه عذاب العصيان والمخالفة في الدنيا وهو الطوفان"[٣]

ويستفاد من دعوة نوح ﵇ في هذا الشأن ما يلي:

١- التلطف مع المدعوين: إن التلطف له أهمية عظيمة في مجال النصح والدعوة ، لأنه يشرح صدر المدعو لقبول النصيحة واستجابة الأوامر والنواهي، لأن التلطف يتوافق مع طبيعة النفس البشرية، ويتلاءم مع مركوز الفطرة الإنسانية ، وأن هذا التلطف ليس مقصورا على دعوة المسلم فحسب بل

---

[١] تفسير القرآن العظيم .. للحافظ ابن كثير ،ج٣، ص ٤٣١، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

[٢]سورة الأعراف: الآية رقم ٥٩

[٣] دعوة الرسل ، الشيخ محمد العدوي ص ١

ربما يكون غير المسلم أكثر احتياجاً للتلطف والرفق حال دعوته ، والناظر لدعوة نوح ﷺ يرى أنه استخدم عبارات التلطف كما قال سبحانه (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف علـيكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكـم رسـالات ربـي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون * أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)[١]

فنوح ﷺ وهو يدعو قومه إلى عبادة الله وتوحيده ركز على كل ألفـاظ التلطف المشعرة بالقرب منهم، من ذلك

أ) نادى عليهم بقوله " ياقوم " وهذا في غاية التلطف، فلم يقل ، يا أيها الكفرة ، ياعبدة الأوثان، إنما تودد إليهم ليقيم طريقاً مستقيماً يدخل منه إلى قلـوب قومـه ويحرك مشاعرهم للاستجابة .

ب) لما وصفوه بالضلال البين الواضح ما كان منه ﷺ إلى أنـه نفـى الضلال عن نفسه فقط، وهذا تلطف آخر، لأنه لم يرد الإساءة بالإساءة، فلم يقل : بل أنتم أضل خلق الله ، وهذا دليل على أنه أراد الوصول لقلوبهم فلم يهجم عليهم بالألفاظ الشديدة ولا الكلمات الحادة، وفي الوقت نفسه صبر على أذاهم البين الواضح.

ج) قوله "وأنصح لكم" فهذا ترفق منه بهم ، فكأنه يقول لهم ما دام أنكم قومي، وأنا رجل منكم،فلا يحل لي خيانتكم، وإنما أعمل جاهداً على النصح فيكم ولكم ، وهذا قمة التودد.

د) قوله "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" فيها معاني الشفقة والحنـو على المدعو، لأن الدعوة تقويم لا انتقام، وسد للخلل لا توسيع للفجوات ، فإذا ما استشعر المدعو خوف الداعية عليه ، طيب خاطره ، واستجاب لدعوته ، وهذا التلطف بعباراته المتعددة يدل على أن نوحاً ﷺ استخدمه طيلة مـدة دعوته مع طولها، لتعلم الدعاة أن الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده تحتاج إلى

---

[١] الآيات من سورة الأعراف (٥٩ – ٦٣)

داعية صادقٍ، صابرٍ، يُخرج الألفاظ الطيبة، والأقوال الحسنة، حتى وإن قابلها المدعو بعبارات التكذيب والاتهام ، كما صدر من قوم نوح تجاه نوح عليه السلام.

٢- البلاغ الواضح البين: إن الداعي إلى الله تعالى يجب عليه أن تقوم دعوته على الوضوح التام ، الذي لا لبس فيه ولا تأويل، لا سيما إذا كان الحديث عن أصل الأصول وركيزة الإسلام الأولى، وهي الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده ، وهذا ما رأيناه، في دعوات كالأنبياء، وفي مقدمتهم نوح عليه السلام، فقد حكى القرآن الكريم قوله لقومه. (إني لكم نذير مبين)[1] لأن وضوح الدعوة ينير الطريق ويختصره أمام المدعو، بخلاف أيدعوة تقوم على الغموض، فإن مآلها التفرق والتصادم والتناقض إلى أن يصل أمرها إلى الاضمحلال والانتهاء.

٣- الدعوة إلى التوحيد سبيل إصلاح كل فساد: على الداعي إلى الله تعالى أن يبدأ دعوته بالحديث عن عبادة الله وتوحيده ، وصرف القُرب إليه وحده، والاستعانة به، والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه سبحانه؛ لأن القلوب إذا عاشت وتعايشت مع هذه المعاني العظيمة فسرعان ما تبحث عن كل طرق الخير الموصلة لمرضاة الله سبحانه ، وفي الوقت ذاته تجعل بينها وبين عذاب الله وعقابه وقاية بعدم اقتراف الشرك أو اجتراح السيئات الموبقات المهلكات، ومن هنا تصلح المجتمعات، وتؤتي الدعوة ثمارها المرجوة المرتقبة، لذلك فإن كل الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم نوح عليه السلام بدأوا بالدعوة إلى التوحيد مع اختلاف طبيعة أقوامهم من حيث ارتكاب السيئات والخطايا المتنوعة وعلى سبيل المثال فإن قوم عاد كان منهجهم الغرور والتفاخر بالقوة ، وقوم ثمود كان سمتهم الثراء مع كفران النعم، وقوم شعيب عليه السلام كانت مشكلتهم تتعلق بأمور التعامل وبخس الناس حقوقهم ، وقوم لوط عليه السلام كانت تصرفاتهم تتعلق بالأمور الأخلاقية ورفض الفطرة السوية ، ومع اختلاف هذه الطبائع وتنوع المخالفات إلا أن أنبيائهم بدأوا بدعوتهم إلى عبادة الله وتوحيده أولاً ، لأن هذا الأصل إذا استقر في القلب اتصلح كل شيء ، فعلى الدعاة أن يسيروا على

---

[1] جزء آية من سورة هود رقم ٢٥

نهج الأنبياء عليهم السلام في الاهتمام بالأصول والتركيز على الكليات والقواعد الكبرى حال الدعوة.

هذا، وإن نوحاً عليه السلام لما دعا قومه إلى عبادة الله تعالى لم ينقطع عن هذه الدعوة، بل استمر عليها مع طول مدة دعوته إلى أن قضى الله بينه وبين قومه، وهذا ما سيدور الحديث حوله في ضوء المبحث التالي:

المبحث الثاني: "استمرارية الدعوة بلا انقطاع"

إن الهمة العالية والنشاط المستمر في تبليغ الدعوة من القواسم المشتركة بين الأنبياء جميعاً وكان في مقدمتهم نوح ، فمع طول مدة دعوته لم يصبه فتور ولم يلحقه يأس، ولم يراوده قنوط، بل قام بمهمته خير قيام ، فما من مناسبة لقومه إلا واستغلها لصالح الدعوة ، وما من فرصة إلا وحصل من ورائها الخير، ولم يكتف بتوجيه الدعوة لطائفة بعينها ، بل اهتم بالكبير والصغير، والرجل والمرأة، والغني والفقير والصحيح والعليل، ولم يكتف بالدعوة في وقت من الأوقات ، بل كانت في الليل والنهار، في السر والعلانية، بين الأفراد والمجتمعات، ولم يكتف بطريقة واحدة ، بل لون بين الوسائل والأساليب ، واستعمل كل ما هو متاح ومشروع ، وهذا كله يدل على الاستمرار الواضح في الدعوة من كل الجهات، وهو ما قرره القرآن الكريم عنه بقوله سبحانه "قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)"[١]فمع الصد الواضح من قومه ، والعناد المستمر منهم، إلا أنه لم يتراجع عن دعوته، ولم يتوقف عن مهمته.

يعلق الشيخ محمد العدوي على استمرارية نوح في دعوته لقومه فيقول (شكا نبي الله نوح قومه إلى ربه، وأنه دعاهم ليلاً ونهاراً ، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً ، وأنه كلما دعاهم سدوا مسامعهم، وتغطوا بثيابهم ، حتى لا يسمعوا قولاً للداعي ولا يبصروه، وأصروا على عنادهم ، واستكبروا على رسولهم ، وقد لوّن لهم في الدعوة ، وفاوت بين الأساليب، فمرة يخوف، وأخرى يبشر، ومرة يشتد، وأخرى يلين، ومرة يعدهم بنعم الله وأخرى يذكرهم بآياته في الآفاق وفي أنفسهم ، فلم تنفعهم مع ذلك الموعظة ولم تفدهم الذكرى، ومكروا بدعوته، وأصروا على عصيانه ومخالفته، ووصى بعضهم بعضاً بالباطل وقالوا : "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

---

[١] الآيات من سورة نوح، (٥ – ٩)

يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)"[١].

ويضيف الأستاذ عفيف طبارة إلى قاله الشيخ محمد العدوي فيقول " بعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقى من قومه من إعراض فقال : يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وترك عبادة الأصنام ، وقد حرصت على إيمانهم فلم ادع مناسبة إلا وقد دعوتهم فيها سواء في الليل أو النهار فلم يزدهم حرصي ودعوتي لهم إلى عبادتك وحدك إلا تمرداً وعصياناً ، وإن كلما دعوتهم لعبادتك لتتجاوز عن سيئاتهم وضعوا أطراف أصابعهم في آذانهم كراهة أن يستمعوا دعوتي وبالغوا في الإعراض فتغطوا بثيابهم كي لا يروني ولا يسمعوا الدعوة التي أتيتهم بها، وقد أصروا في إعراضهم عن دعوة الله وتكبروا عن اتباعي والاستجابة لي تكبراً عظيماً ثم إني يا رب دعوتهم إلى عبادتك مرة بعد أخرى بأساليب مختلفة فحينا ادعوهم جهرا في مجتمعاتهم وحيناً أنفرد ببعضهم سرا،[٢].

فانظر كيف أن نوحاً عليه السلام استمر في دعوة قومه واستعمل كل الأساليب المناسبة والإمكانات المتاحة ، ولم يمل ولم ييأس، مع شدة إعراضهم وصعوبة تصرفاتهم ، فقد كانوا يؤذون مشاعر نوح عليه السلام وذلك بوضع الأصابع في الأذن ورفع الثياب على الأعين كي لا يبصروه ، فلم يكتفوا بالإعراض بل ضموا إليه إيصال الأذى لمشاعر الداعية ، ومع كل ذلك لم يتوقف عن دعوته ولم يعرض عن رسالته، وهو بذلك يوصل رسالة لكل الدعاة عبر الأزمان أن قوموا بواجبكم تجاه دعوتكم وتجاه أقوامكم وابذلوا الغالي والثمين في تحقيق استجابة الناس للدعوة .

ويستفاد من دعوة نوح عليه السلام في هذا الشأن ما يلي :

١- التفريق بين هداية الإرشاد وهداية التوفيق : إن الداعية مأمور بأن يسلك كل السبل الموصلة لتفهيم المدعو وإقامة الحجة عليه وبيان ماله وما عليه ، وهذا ما يسمى بهداية الإرشاد، وهي المرادة من قول الله تعالى (وإنك

---

[١] جزء آية من سورة نوح رقم ٢٣ – دعوة الرسل إلى الله تعالى – الشيخ محمد العدوي ص ١٧

[٢] مع الأنبياء: أ/ عفيف طبارة ص ٦٥

لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)[١]وهذه الهداية مسؤول عنها الداعية أمام ربه ﷻ إن قصر فيها . فإنه يلاقي عقاب تقصيره إلا إذا شمله الله بعفوه ، بخلاف هداية التوفيق، فإنه لا يملكها إلا الله تعالى، لأنها تتعلق بالقلوب، والقلوب مردها إلى خالقها ﷻ وهذه هي الهداية التي نفاها الله ﷻ عن رسوله محمد ﷺ وذلك في قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)[٢] وهذا ما أشار إليه نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه قائلاً (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) [٣] ، فقد تُوجد كل أسباب الهداية غير أن العبد لا يوفق إليها لأجل أن قلبه ليس محلاً للهداية، لذا كانت هداية التوفيق مختصة بالله وحده دون غيره من الرسل أو الأولياء أو العلماء والدعاة.

٢- تلوين الخطاب الدعوي :لا ينبغي للداعية أن يكون على نسق واحد أو وتيرة واحدة حال الدعوة، فإن الناس متفاوتة في الإدراك والاستيعاب، فما يناسب قوماً من أساليب قد لا يناسب غيرهم، وما يتوافق مع بيئة قد لا يتوافق مع أخرى، وهذا يُوجب على الداعية أن يدرس مجتمعه وواقعه المحيط به كي يأتي القلوب من أبوابها بل إن الشخص الواحد قد ينفع معه أسلوباً في وقت ولا يصلح معه في وقت آخر، لذا ينبغي للداعية حال دعوته أن يضع طريقة نبي الله نوح نصب عينه كي يقتدي بها، ويسير في هديها، فهو عليه السلام استخدم كل الأساليب والوسائل التي تمكنه من الوصول إلى قلب المدعو، ووضع في ذهنه عامل الزمن الذي يدعو فيه، فالمتهيئ للنوم لا يكون صافي الذهن مثل الذي أخذ قسطاً من الراحة، وهكذا.

ومن الجدير بالذكر أن الداعية عندما يكون أمام أصحاب عقائد شتى فإنه يختار لكل صاحب معتقد ما يناسبه من مدخل وأسلوب، فما يصلح مع اليهودي

---

[١]الآيتان من سورة الشورى رقم (٥٢ – ٥٣)

[٢]سورة القصص: الآية رقم ٥٦

[٣] سورة هود: الآية رقم ٣٤

قد لا يصلح مع المسيحي، وما يصلح مع الوثني قد لا يصلح مع الملحد، وما يصلح مع المجاهر قد لا يصلح مع المسر بذنبه والمتخفي في كبيرته.

٣- تخطي العقبات: إن الداعي إلى الله تعالى المجتهد في دعوته، المستمر في نشرها، لا يثنيه شيء عن دعوته، ولا يحجزه أمر عن رسالته، وإذا جاءت العقبات عمل على تخطيها، وإذا وردت المنغصات سارع في عدم الوقوف أمامها طويلاً، لأنه مشغول بالاستمرار في دعوته، وهذا ما شاهدناه من نوح ﷺ، فلم تؤمن به امرأته ومع ذلك لم يكن ذلك حجرة عثرة في استمراره في الدعوة، قال تعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) [1] وكذلك لم يذعن له أحد أولاده فلم يثنيه ذلك عن دعوته، قال تعالى (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣))[2] وهكذا يضرب نبي الله نوح ﷺ المثل الأعلى في استمرارية الدعوة وعدم التوقف عنها لأجل عوائق أو عقبات، ألا فليكن دعاة اليوم على المنوال في قوة العزيمة وعلو الهمة وتذليل الصعاب.

٤- عدم السآمة من طول مدة الدعوة : مما هو معلوم أن الداعية مأمور بعبادة ربه حتى الممات، كما قال تعالى "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"[3] ومن العبادة: الأمر بالدعوة إلى الله، فيظل الداعية حريصاً على هداية الناس إلى لقاء ربه، وهذا ما كان من نوح ﷺ، حيث إنه مكث مدة طويلة يدعو قومه إلى الله تعالى ولم ييأس، قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [4]، ويشير الشيخ

---

[1] سورة التحريم : الآية رقم ١٠

[2] الآيتان من سورة هود ٤٢-٤٣

[3] سورة الحجر الآية رقم ٩٩

[4] سورة العنكبوت، الآية رقم ١٤

محمد العدوي إلى أهمية الاستمرار في الدعوة ولو طالت، فيقول "وفي القصة من العبر أنه إذا سئم المدعوّون من طول مدّة الـــدعوة فلـــيس للـــداعي أن يسأم"[١]، لأن الداعي المخلص في دعوته مأجور على كل أحوالـــه، ســـواء أطالت الدعوة أم قصرت، وسواء استجاب الناس أم أعرضوا ، فإذا وضـــع الداعية هذا الأمر في حسبانه فإنه لا ييأس من إعراض الناس أو تأخرهم في الاستجابة، وبهذا يتضح أن الداعية يحصل على الأجر الكبير لمجـــرد ذات الدعوة، لذا هو خير الناس، كما قال سبحانه (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)[٢]

هذا وإذا كان نوح عليه السلام استمر في دعوته ولم ينقطع عنها لأجل إعراض قومه، ولم يفتر عنها لأجل تماديهم في الإعراض، فإن من حسن دعوته لهم أنه كان يجمع بين الترغيب والترهيب ليبشر المؤمن وينذر المعرض والمعاند، وهذا ما سيكون الحديث حوله من خلال المبحث التالي:

---

[١] دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٣

[٢] سورة فصلت، الآية رقم ٣٣

المبحث الثالث "الجمع بين الترغيب والترهيب"

إن الناظر لدعوة الأنبياء جميعا عليهم السلام يرى أنهم استخدموا الترغيب والترهيب معا في الدعوة إلى الله تعالى، لأن هذا هو الطبيعي، الموافق للفطرة، الملائم للنفوس ، المتفق مع العقول السوية الصحيحة ، وكان على رأس هؤلاء الأنبياء جميعاً نبي الله نوح ﷺ، فكان تارة يستخدم الترغيب إذا وجده علاجاً ناجعاً ، وتارة يستخدم الترهيب حين يراه نافعاً مخوفاً ، لأن المدعوين على مر العصور جبلت نفوسهم على استجابتهم للمرغب لهم ، الحريص عليهم، وهذا ما كان من نوح ﷺ ، فمع جمعه بين الترغيب والترهيب إلا أنه بدأ بالترغيب أولاً لمعرفته بطبيعة النفوس، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنه فقال سبحانه (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)[١]، فإذا كان الطائر في السماء يحلق بجناحيه ولا يستطيع أن يطير مقدارا قليلاً بجناح واحد، فكذلك المدعو، لا يستطيع أن يسير إلى الله تعالى إلا برغبة ورهبة، وهذا ما ينبغي للداعية أن يفطنه ويفقهه.

ويشير الشيخ محمد العدوي إلى استخدام نوح v لهذا الأسلوب فيقول " ينبهنا الله تعالى في هذه السورة إلى أن نوحاً ﷺ أندر قومه وبشرهم ، ووعدهم إذا هم أطاعوه أن يغفر الله لهم ما فرط من الذنوب، ويؤخرهم في تمكن من الطاعة، متمتعين بما سخر الله لهم من خيرات هذه الحياة إلى الوقت المضروب لموتهم ، وهو كقوله في سورة هود (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير)[٢] وأراهم أن أجل الله الذي حدده لهلاك الأمم وعقوبتها إذا جاء لا يمكن تأخيره (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا

---

[١] الآيات من سورة نوح (١٠-١٣)

[٢] سورة هود الآية رقم ٣

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)[١] وقد تمنى نوح ﷺ أنه لو كان قومه يعلمون من الله هذه السنن في عقوبة الأمم والشعوب حينما تفسق عن دين الله ، وتعصي أمره ونهيه ، ووعدهم كذلك أن يرسل السماء كثيرة الدرّ عليهم فينتفعوا بالماء في الشرب والزرع وحياة الحيوان، ويجعل لهم البساتين والأنهار العذبة،[٢]"فانظر كيف أن نوحا ﷺ ركز على الاستغفار ، وأنه اهتم به اهتماما عظيما ، لأنه بالاستغفار تتغير حالة المدعو من السيئ إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن ، وبالاستغفار تنضبط حالة المدعو ومن ثم يفتح الله عليه من الأرزاق بجميع أنواعها ، وهو ما أكده نوح ﷺ لقومه حال استغفارهم أن يمدهم الله بكل خير ، كما جاء في آيات الترغيب السالف ذكرها .

ويستفاد من دعوة نوح ﷺ في جانب الجمع بين الترغيب والترهيب ما يلي :

١-الاقتداء بمنهج القرآن في الدعوة : إن القرآن العظيم قد اشتمل على الجمع بين الترغيب والترهيب في مواطن عدة ، (فكثيراً ما يقرن الله تعالى بين هاتين الصفتين، كما قال تعالى" نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم"[٣] وقوله " وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب "[٤] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه "[٥] فإذا أراد الداعية توفيقاً في دعوته ،

---

[١] سورة الأعراف الآية رقم ٣٤

[٢]دعوة الرسل إلى الله تعالى ، ص ١٦

[٣]الآيتان من سورة الحجر (٤٩-٥٠)

[٤]سورة الرعد الآية رقم ٦

[٥]تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، جـ٣،ص ٣٨٥

ونجاحاً في جذب المدعوين إلى الخير والحق فليلزم منهاج القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب، وهذا ما صنعه نوح ﷺ تجاه قومه.
ومن الأمثلة في ذلك قوله تعالى " هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ۞وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)"[١]

٢-اتزان الداعية في الجمع بين الترغيب والترهيب: إن الداعية الحصيف هو الذي يقدر الأمور قدرها ، ويضع الشيء في نصابه الصحيح، فإذا ما دعا إلى الله تعالى فإنه يوازن بين أسلوبي الترغيب والترهيب بحيث لو وضعها في كفة ميزان تساوياً، لأنه إذا غلب جانب الترغيب بصورة كبيرة دون مصلحة دعوية من وراء ذلك فإن المدعو يقع في كبيرة من الكبائر وهي الأمن من مكر الله كما قال الله تعالى "أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"[٢] ، وكذلك إذا غلب الداعية جانب الترهيب بصورة واسعة دون مصلحة راجحة أوقع المدعو في كبيرة من الكبائر وهي القنوط واليأس من رحمة الله، كما قال تعالى على لسان الخليل إبراهيم ﷺ "قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون"[٣] وقوله سبحانه على لسان يعقوب ﷺ مخاطباً بنيه "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"[٤]، فاتزان الداعية في الجمع بينهما يوفقه للنجاح، وفي الوقت نفسه لا يوقع المدعو في حرج وهذا ما رأيناه في دعوة نوح ﷺ مع قومه حيث إنه وازن بين الترغيب والترهيب، ولم يغلب أحدهما على الآخر، لذلك أثمرت دعوته واستطاع إقامة الحجة عليهم

---

[١] سورة ص الآيات (٤٩-٥٨)

[٢] سورة الأعراف الآية رقم ٩٩

[٣] سورة الحجر رقم ٥٦

[٤] سورة يوسف الآية رقم ٨٧

بغض النظر عن نسبة المؤمنين منهم، بخلاف ما يُرى ويُشاهد مـــن بعـــض المنتسبين للحقل الدعوي بحيث إن أحدهم ينتهج منهج الترهيب والشدة في كل مواطن دعوته، وهذا بلا شك يفسد أكثر مما يصلح، ويُبعد أكثر ما يُقـــرب، فعلى الداعية الاتزان، وخير الأمور أوسطها.

إذا تقرر هذا، فإن نوحاً عليه السلام كما استخدم الترغيب والترهيب في دعوته فإنه لفت الأنظار للآيات الإنسانية والكونية ليكون قومه على بينة من أمرهم، ولكي يثبت المتحير المرتاب، ويوقن الشاك، بأن هذا الكون يدبره إله حكيم، هو المستحق وحده للعبادة، وهذا ما سيتم الكشف عنه من خـــلال المبحـــث التالي:

المبحث الرابع: "لفت الأنظار للآيات الإنسانية والكونية"

من أهم الأمور وأكدها في الدعوة إلى الله تعالى لفت نظر المدعوين إلى قدرة الله تعالى في خلقه، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ويركز الداعية على قدرته سبحانه في خلق الكون والأنفس ، فعن أمر الكون فإنه سبحانه ربط بين قدرته واستحقاقه وحده للعبادة فقال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) [١]، وعن أمر الأنفس فإنه سبحانه دعا إلى التفكر في عظمة خلقه للإنسان كما قال سبحانه (أولم يتفكروا في أنفسهم) [٢]وفى قوله ﷻ (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[٣]وإن الناظر إلى دعوة نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى عبادة الله وحده يرى أنه لفت أنظارهم إلى قدرة الله في خلق الكون والأنفس وما دام أنه الخالق فلا تصرف العبادة إلا إليه سبحانه ، كما قال الله تعالى حاكيا عنه عليه السلام(مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)) [٤]، فجمع عليه السلام في دعوته بين خلق الكون والأنفس، وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى استخدام نوحعليه السلام إلى هذين الأسلوبين في دعوة قومه، فقال " يسائلهم أي شيء يمنعهم أن يرجو من الله تعظيما لهم في دار الثواب وقد خلقهم على أطوار مختلفة، وحالات متفاوتة، فخلقهم من سلالة من طين ، ثم جعلهم نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة ، فخلق العلقة مضغة ، ثم جعل المضغة عظاماً ، فكسا العظام لحما ثم أنشأها خلقاً آخر فشق لها أذناً

---

[١] سورة فاطر الآية رقم ١٣، والقطمير : هو الغشاء الأبيض الرقيق الملتف حول نواة التمر.

[٢]جزء آية من سورة الروم رقم ٨

[٣]سورة الذاريات، الآية رقم ٢١

[٤] الآيات من سورة نوح (١٣-٢٠)

تسمع، وعيناً تبصر، ولسانا ينطق ، ودماغــاً يفكــر، فتبــارك الله أحســن الخالقين . إله له هذه الآيات لماذا ينصرف الناس عنه ولا يدنيون له بالطاعة ، [١] ثم يتابع الشيخ محمد العدوي حديثه عن استخدام نــوح عليه السلام للأســلوب الآخر وهو التفكر في خلق الكون فيقول " ثم قصد إلى طريق آخر يرغب به في طاعة الله ، والوقوق عند حدوده ، فأخذ يذكرهم بآيات الله فــي ســمائه وأرضه ، وما جعل فيهما من نور القمر وضوء الشمس وكيف أنبتنا الله من الأرض نباتاً، ثم يعيدنا فيها ويخرجنا منها عند البعث إخراجاً، وكيف جعل لنا الأرض بساطاً ومهدها للزرع والمشي، لنسلك منها السبل، ونستخرج منهــا الزرع، ونستخلص منها المعادن [٢] فانظر كيــف أن نوحــاً عليه السلام اســتخدم مخلوقات الله تعالى للتدليل على قدرته وصرف العبادة إليه، والتبرء من كل الآلهة الباطلة التي لا تقدر على خلق شيء ، ومخاطبة المدعوين بما يناسب عصرهم وقدراتهم الفكرية والبيئية حتى تؤتي الدعوة ثمرتها المرجوة.

هذا، ويمكن الاستدلال بخلق الكون والأنفس على قدرة الله سبحانه فــي إحياء الناس بعد مماتهم، وبعثهم من قبورهم بعد أن صاروا عظاماً نخــرة، وهذا الأسلوب يفيد في دعوة الماديين والملحدين، لا سيما وأن هذا الاستدلال يراه الجميع دون مكابرة أو إنكار، كما قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِــن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُإِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَــىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِعِلْمٍ شَيْئً اوَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَاأَنزَلْنَاعَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧)[٣].

---

[١] دعوة الرسل إلى الله تعالى، الشيخ محمد أحمد العدوى، ص ١٦ – ١٧

[٢] المصدر السابق ص ١٧

[٣] سورة الحج الآيات (٥-٧)

هذا، ويضيف الأستاذ عفيف طبارة إضافة تتعلق بدعوة نوح ﷺ قومه وهو في معرض الحديث عن قدرة الله فيقول "كيف لا تخافون عظمة الله وسلطانه وقد خلقكم طوراً بعد طور بطريقة التدرج من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم كسا هذه المضغة عظاماً ولحماً ... ثم تابع نوح مخاطبتهم لافتاً أنظارهم إلى قدرة الله فوقهم، فقد خلق الكواكب السيارة وجعل القمر يسير في مداراتها لينير لكم الأرض ليلاً، وجعل الشمس سراج النهار، وأنشأكم إنشاء من الأرض بأن غذاكم من النبات المتولد منها ثم يعيدكم فيها بالدفن بعد الموت، ثم يبعثكم يوم القيامة للحساب، كما خلق لكم الأرض ممهدة سهلة لتتخذوا فيها طرقاً واسعة لتحصيل رزقكم وبلوغ مآربكم"[١].

وليعلم الدعاة أنه كلما تقدم العلم وتطورت التكنولوجيا وارتقت آليات البحث فإن الناس عامة، والغرب منهم خاصة، في حاجة ماسة إلى تدبر قدرة الله تعالى وصرف العبادة إليه في ضوء ذكر آيات الله الكونية والإنسانية، للأخذ بأيديهم إلى طريق الإسلام والاستقامة، وهذا يُعد من باب انتهاز الدعاة للفرص ليبلغوا دين ربهم على الوجه الأمثل.

ويستفاد من دعوة نبي الله نوح ﷺ لقومه في هذا الشأن ما يلي:

- الدعوة إلى مواكبة العصر: مما هو معلوم أن اتجاهات الباحثين وميولهم تتجه نحو الاكتشافات العلمية الحديثة، ومن ثم ينتهز علماء ودعاة الإسلام ذكر حقائق الآفاق والأنفس لإثبات صحة الإسلام ديناً في نفوس القوم، وأنه تفوق على كل الأديان السماوية المحرفة، والوضعية في هذا الجانب، وفي كل الجوانب الأخرى، تحقيقاً لقول الله تعالى " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)"[٢] (فالتركيز بالآيات الكونية والإنسانية أظهرت نجاح الداعية في اعتماده على الكتاب المنظور "الكون الفسيح" لشد المدعوين إلى الكتاب المسطور "الوحي المنزل، للإيمان به، وبمن جاء به رسولاً من قبل ربه، والالتزام بأوامره

[١] مع الأنبياء، عفيف طبارة، ص ٦٦

[٢] سورة فصلت الآية رقم ٥٣

ونواهيه لتحقيق الصلاح المنشود ، إذ هناك انسجام ووئام تام بينهما وبـــين الفطرة السوية في الإنسان، لأن الثلاثة مصدرها واحد، هو الله تعالى، ودعاة اليوم مطالبون باستخدام هذا المنهج في الخطاب لأهميته في جذب الناس إلى الإسلام وربطهم بالله تعالى، ومعطيات العلم الحديث في مجـــالات العلـــوم المادية تصدق باكتشافاتها المتجددة ما في القرآن الكريم، وعن طـــرق هـــذا الاكتشافات وربطها بالإسلام دخل ناس كثيرون، غربيون وشـــرقيون فـــي الإسلام، إن هذه الاكتشافات التي تمت تجعل أتباع الإسلام في ازياد مُطَّـــرد وسبحان الله!!القوم ينفقون الأموال الطائلة باسم العلم، وهم بـــذلك يخـــدمون الإسلام من حيث لا يريدون ولا يشعرون، وصدق الله القائـــل "يريـــدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـــه ولـــو كـــره المشركون"[١]

- عالمية الإسلام وشموليته: مما لا شك فيه أن رسالة الإسلام هي الخاتمة لذا كانت عالمية، وكما أن الإسلام عالمي في وجوب اعتناقه ديناً، فإنه عالمي في تشريعاته وأحكامه أيضاً، فلم يقتصر على علم دون آخر، ولم يتعـــرض لحقيقة دون أخرى، بل ذكر كل شيء ولو على سبيل التقعيـــد والإجمـــال، وصدق ربي حين قال "ما فرطنا في الكتاب مـــن شـــيء ثـــم إلـــى ربهـــم يحشرون"[٢]

- التوسع في فهم النصوص الشرعية: ينبغي الانتقال مـــن التفســـيرات النظرية إلى التفاسير العلمية التطبيقية، لأن كثيراً من قدامى المفسرين ذكروا تفاسير نظرية لنصوص تعرضت لحقائق الكون والأنفس، وهم معذورون في ذلك فهذا ما توصلوا إليه وكان متاحاً لديهم في زمانهم، أما اليوم ومع الطفرة الكبيرة والواسعة في تكنولوجيا العصر الحديثة فإن تفاسير النصـــوص فـــي

---

[١] الآيتان من سورة التوبة رقم ٣٢-٣٣ , ينظر : المستفاد من تاريخ الدعوة إلى الله تعالى ، د / فرج محمد الوصيف ، ج ١ ، ص٥٠ ، ط(٣) ١٤٣٥، ٢٠١٤م

[٢]جزء آية من سورة الأنعام رقم ٣٨

حاجة إلى فهم أعمق وشرح أدق لاستخراج ما احتوت عليه من حقائق علمية أذهلت العقل الإنساني، ومن ثم تأخذ بيده نحو الجادة والصواب.

إذا تقرر هذا، إن نوحاً عليه السلام ومع استخدامه لكل الوسائل المتاحة لديه، فإنه لم يغفل عن جانب مهم في المجال الدعوي، ألا وهو الجدال بالحسنى وإقامة الحجة الدامغة على قومه، بحث لا يُبقى لأحد منهم باطلا يتعلق به، فقام بتفنيد المزاعم، وإبطال الادعاءات، وإزهاق الباطل، بأسلوب جمع بين قوة الجدال وحسن الخلق، وهذا ما ستتم الدراسة حوله من خلال المبحث التالي:

المبحث الخامس: "إقامة الحجة بالجدال الحسن"

إن الداعية الحصيف لا يكتفي بحسن عرض الدعوة بل يضم إلى ذلك الجدال الحسن المبني على قوة العلم وقوة الإقناع، للعمل على جذب المدعوين إلى دين الإسلام إذا كانوا على الكفر، ولجذب المدعوين إلى الاستقامة إذا كانوا عصاة، لأن الجدال يصلح مع كل الفئات والأطياف المحتاجة إليه، وهذا ما رأيناه من كل الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبي الله نوح ﷺ، حيث إن هذا الأسلوب ظهر في دعوته ظهوراً جلياً، ومن كثرة استعماله للجدال الحسن تأفف منه قومه، وطلبوا استعجال العذاب الذي توعدهم به، فقال سبحانه حاكيا عنهم "قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين"[١] ومع ذلك استمر ﷺ في إقامة الحجة عليهم، ونفي كل المزاعم والدعاوى والأباطيل التي ألصقوها به وبدعوته، ففند الشبهات، وأبطل حججهم الواهيات، وألزمهم كلمة التقوى وإن لم يذعنوا له، فيكفيه أنه استخدم ما يرشدهم إلى الصواب، ويدلهم على حسن المئاب.

ومن صور قوة جداله وتمكنه من إقامة الحجة على قومه ما يلي:

١) تبرئة ساحته من الضلال: "تأمل كيف يسرف الملأ من قوم نوح في الطعن عليه والزراية به فيقول بصيغة المؤكد "إن لنراك في ضلال مبين" وليتهم وقفوا عند رميه بالضلال، بل أرادوا أن يفهموه أن ضلاله جدّ واضح، يستطيع كل أحد أن يتبينه، فيقول نبي الله لهم: يا قوم ليس بي شيء من الضلال ولكني رسول من الله المربي لأجسام العالم بالنعم، ولأرواحه بالشرائع، أبلغكم أوامر الله ونواهيه ومواعظه وزواجره، وأمحض لكم النصح، وأعلم من أمر الله ما لا تعلمونه، فأعلم من صفات الله وقدرته الباهرة، وبطشه بأعدائه ما جهلتم، و أعلم أن بأسه لا يُرد عن القوم المجرمين"[٢]، فلم يقف ﷺ مكتوف الأيدي حيال زعمهم، بل فند قولهم، وأبطل دعواهم، ورد زعمهم

---

[١] سورة هود الآية رقم ٣٢

[٢] دعوة الرسل، الشيخ محمد أحمد العدوي، ص ٢

في نحورهم ، وذلك بقوة جداله وتمكنه من إقامة الحجة على خصمه المعاند، فليسر الدعاة على نحو ما سار عليه نبي الله نوح علي السلام ليحققوا نجاحاً في الدعوة، وكبتا للخصم، ويضف الأستاذ عفيف طبارة إلى ما قاله الشيخ محمد العدوي، فيقول "ويصور القرآن استعلاء القوم ورفضهم الاستجابة لدعوة نوح ووصمهم له بالضلال كما يصور نوحاً الصابر الملاطف الذي يحاول انتزاع هذا الوهم من عقولهم فيقول لهم: يا قوم ليس بي ضلالة كما تزعمون ، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم ما أرسلني به من الوصايا والأحكام التي تصلح بها أموركم، وإني ناصح لكم بما فيه سعادتكم ومحذركم مما فيه شقاؤكم وقد علمني الله ما لا تعلمون"[١]، ويلاحظ الأدب الجم والخلق الرفيع في رد نوح عليه السلام على قومه، فلم يقل لهم أنتم أهل الضلال والكفر، بل كل ما فعله أن نفي عن نفسه الضلالة من كل الوجوه، وهذا يدل على ما وصل إليه نوح عليه السلام من عفة لسانه وطهارة قلبه وسمو فطرته.

٢) تبرئة ساحته من الافتراء على الله: يقول الله تعالى حاكياً مقالة المعاندين من قوم نوح له "أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنا برئ مما تجرمون"[٢] وقد علق الشيخ محمد العدوي على قوة منطق نوح عليه السلام في الرد عليهم قائلا " يقول قوم نوح له أنه افترى على الله الكذب ، واختلق هذه الدعوى، فيرد عليهم بالمنطق ويقول" إن كنتم صادقين في أنني اختلقته ، وجئت به من قبل نفسي، فعلي عقاب جرمي، وان كنت صادقاً وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب، ومن إيجاز القرآن أن يحذف هذه البقية لأن الكلام دال عليها ، وهو كقوله "أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم"[٣]، وبعد أن أقام نوح على قومه الحجة وشرح لهم وظيفة الرسول قال له قومه " يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من

---

[١] مع الأنبياء ،ص ٦٣

[٢] سورة هود الآية رقم ٣٥

[٣] سورة الأحقاف، الآية رقم ٨

الصادقين " استعجلوا عذاب الله ، وطلبوا منه الآيات التي تخضع لها أعناقهم، وتذل لها نفوسهم، وجعلوا وقوع هذه الآيات أمارة صدقه ، ودليل نبوتـــه ، فأخبرهم أن الاتيان بالآيات شأن من شئون الله ، يأتي بها إن شاء، ويؤخرها متى شاء ، وسواء أتى الله بالآيات أو أخرها فلستم بمعجزين له في الأرض، وأراهم أن نصحه لهم لا يجدي إذا كان الله قد طمس على قلوبهم وحال بينهم وبين الهداية بما كسبته أيديهم وبإعراضهم عن الحق ،[١] فلينظر الدعاة إلى قوة حجته وتمكنه من الجدال لكل ما يتفوهون به ويزعمونه ، يجدون الـــرد المفحم، والجواب المسكت ، والجدال المبهت.

٣) دفاعه عن المؤمنين الضعفاء:لقد استطاع نوح عليه السلام بفصاحة لسانه ، وقوة حجته ، وتمكنه من الجدال ، أن يدافع عن المستضعفين الفقراء الـــذين استجابوا لدعوة التوحيد، ويعرض الشيخ محمد العدوي هذا الدفاع ، فيقول : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) فلا يليق بهم، وهم من علية القوم وسادتهم" أن ينقادوا لنوح وقد اتبعه سفلة القوم وضعفاؤهم، وأصحاب العقول الصغيرة ، والمهن الحقيرة ، وأين السادة من العبيد، وخاصة الناس من عامتهم وسوقتهم ، وكيف يليق في حكم التقاليد أن يجمعنا بهم مجلس ، أو تربطنا بهم رابطة؟ وهم على ما نعرف من الضعفة والفقر، ونحن على ما ترون مـــن العظمـــة والجاه ، وكيف تتفق الديمقراطية بأوسع معانيها ، والاســـتقراطية بـــأخص أوصافها، وأين المثقفون وأصحاب العقل الراجح من السذج البسطاء الـــذين آمنوا بك "بادي الرأي" بدون روية ولا نظر، فيقول لهم نبي الله نوح " وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين * إن أنا إلا نذير مبين"[٢]، حاسبوه على سذاجتهم وأنهم لم يؤمنوا عن روية وعقل ، فقال وأي شيء يعلمني بنياتهم وضمائرهم، وما حسابهم في ذلك إلا على ربي لا عليّ ، فالله محاسبهم ومجازيهم، وما أنا إلا منذر لـــو تشعرون ذلك ما وجهتم إلى لوماً، ولكنكم تجهلون، وتتساقون مع الجهل حيث

---

[١] دعوة الرسل: الشيخ محمد العدوي ص ٨

[٢] الآيات من سورة الشعراء ١١٢-١١٥

سيركم وكأنه يلفتهم بذلك إلى إنكار أن يسمى المؤمن (رذلاً)، وإن كان أفقر الناس، وأوضعهم نسباً ، فان الغنى غني الدين والخلق ، والنسب نسب التقوى، وما أنا بطارد المؤمنين إرضاءً لشهواتكم، وتطيبياً لنفوسكم إن أنا إلا نـــدير مبين أخوفكم عذاب الله وأقيم حجته على العصاة وأرباب الشهوات بطريق بين واضح [١]

وهذا الموقف الدعوى يستخرج منه ما يلي:-

١. إفحام القوم : فإن نوحاً ﷺ رد عليهم رداً منطقاً لا يستطيعون معه جواباً ولم يبق أماهم إلا التسليم والإذعان أو المكابرة.

٢. الجدال بالحسنى : إن نوحاﷺ انشغل بالرود العلمية والاستدلالات العقلية ولم يَرْد عنه أنه سب أو شتم أو تهكم أو تنقص القوم، فمع سوء أدبهم وقساوة قلوبهم وجلافة طباعهم إلا أنه ﷺ قابل ذلك كله بالإحسان إليهم ، بل اختار الطريق الأمثل ، طريق الجدال المحمود ، الذي قال عنه ربنا الكـــريم لرسولنا ﷺ وللدعاة من أمته من بعده (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)[٢].

٣. تصحيح المفاهيم المغلوطة : إن نوحاً ﷺ اهتم اهتماماً بالغاً بشـــأن تصحيح المفاهيم وإعادة كل شيء إلى وضعه الذي وضع له، فالمؤمن التقي هو صاحب الغني الحقيقي وأنه مهما قدر عليه من فقر أو استضعاف فإنه لا يهان ولا تطلق عليه الألفاظ المشينة، ولا تُهدر كرامته ، ولا يُعير بفقره ، فإن موزع الأرزاق هو الله ، وإن مقسم النعم هو مَنْ يملكها ﷻ ، وفى الوقت ذاته فإن صاحب الوهاجة والمال والجاه المصر على الكفر واختيار طريق الظلمات على طريق الهدى والنور هو أولى الناس بوصفه بالخيبة والخســـارة ، لأن الأصل أن يقوده ماله وجاهه إلى أمثل طريق ، فلما تنكب الصراط المستقيم فهو الفقير المهان حقاً ، لأن الفقر فقر القلب، ويشير الأستاذ عفيف طبارة إلى رد نوح ﷺ على قومه وهو يصحح لهم المفاهيم " لست بطارد أحدًا من الذين

---

[١] دعوة الرسل إلى الله تعالى ، الشيخ محمد أحمد العدوي ،ص ١٤

[٢] جزء آية من سورة العنكبوت رقم ٤٦

آمنوا استجابة لطلبكم. وبسبب احتقاركمإياهم، فهم مقربون عند الله وسيلاقون ربهم يوم القيامة فيتولى حسابهم وجزاءهم أما أنتم فإني أراكم قوماً تجهلون ما يتميز به البشر عند الله (مع الأنبياء ، ص ٦٤)

وبناء على هذا فإن المجتمعات في العصر الحاضر تحتاج إلــى دعــاة صادقين، اتسموا بحمل دعوة ورسالة لا مجرد عملي وظيفــي، يصــححون المفاهيم المغلوطة في كل جوانب الحياة لدى ا لمدعوين الذين يضعون الأمور في غير نصابها الصحيح، وإن اهتمام الدعاة بهذا الجانب يدل على فكــرهم المستنير، وعقلهم الواعي، وفوآدهم البصير، لأنهم يأخذون بأيدي المدعوين من أقرب طريق يوصلهم إلى بر الأمان وشاطئ السعادة.

هذا، واعلم أن نوحاً عليه السلام جاهد في سبيل الله وأفنى عمره في دعوة قومه دون أن يسألهم أجراً أو يطلب مالاً، وهذا يدل على الإخــلاص فــي الــدعوة ، والصدق في القول والعمل، وهو ما ستتم الدراسة حوله في ضوء المبحــث التالي:

المبحث السادس: " عدم طلب الأجر على تبليغ الدعوة"

إن دعوة الأنبياء عليهم السلام قامت على العفة والنزاهة والتجرد الكامل والاخلاص التام في البلاغ ، ولم ينظروا إلى ما في أيدى الناس، ولم يسعوا إلى الاستحواذ على الدنيا وهذا يدل على الصدق في الدعوة ، وانتظار الأجر الأعظم من الله سبحانه ، وكان في مقدمة هؤلاء، بل وعلى رأسهم نبي الله نوح عليه السلام، فقد صرح في أكثر من موضع عندما كانيخاطب قومه أنه لا يريد مالا على دعوته ولا أجرًا على نصحه ، فقال الله تعالى حاكياً عنه "ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجرى إلا على الله: [١] وقوله سبحانه " فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين"[٢]، وقوله سبحانه (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الى على رب العالمين) [٣] وكان يمكن أن يكتفي القرآن بذكر عدم طلبه للأجر في موطن واحد ، لكن لما كرر ذلك دل على أهمية التجرد والاخلاص، ودل على صدق نوح عليه السلام طيلة مدة دعوته، ويشير الشيخ محمد العدوي إلى أهمية عفة الداعية حال حديثه عن نوح عليه السلام فيقول "يلفتك نبي الله نوح إلى مسألة هي جديرة بالاهتمام هي أنه ما سأل قومه أجرًا على دعوته ، والشأن في كل داع لا يطلب أجرًا إلا مرضاة ربه أن يكون مخلصاً في دعواه ، وهذه نغمة نسمعها من جميع الرسل، وهي جديرة بالعناية ، ومقياس صدق الداعي، وبرهان أن دعوته تتصل بالقلب والوجدان ، وحسبنا أن الله تعالى يقول "وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون"[٤]، لنعرف أن من لا يسأل الأجر على دعواه وهو يعمل بما يدعو الناس إليه هو داعي صدق ، وصاحب عقيدة خالصة، ومبدأ حق يقف عند عقيدته ، ويكافح

---

[١] جزء آية من سورة هود الآية رقم ٢٩

[٢] سورة يونس الآية رقم ٧٢

[٣] سورة الشعراء الآية رقم ١٠٩

[٤] الآيتان من سورة يس رقم ٢٠-٢١

عن مهمته ، ويرحب بكل أذى يناله من ذلك الطريق" [١].

ويستفاد من تعليق الشيخ رحمه الله عدة فوائد دعوية تكون على النحـــو التالي:

(١) النزاهة تورث الإخلاص : إن الداعي الذى لا يطلب أجراً علـــى دعوته فإن ذلك علامة إخلاصه ، ومن ثم التوفيق ، لأن الإخلاص يـــورث التوفيق في الدعوة ، وما من مخلص في دعوته إلا وقد أثمرت دعوته وأينعت سواء أكان ذلك في حياته أم بعد مماته ، المهم أنه لا يُعدم الخير، وقد أمر الله سبحانه عباده بالتقرب إليه بمنزلة الإخلاص ومقام التجرد ، فقال سبحانه (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[٢]، وقوله سبحانه (قل إنـــي أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين)[٣] بل إن الله سبحانه حث على إخلاص العبد في كل شؤون حياته ،وعلى رأسها الدعوة إليه سبحانه ، فقال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبـــذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[٤]فعلى قدر نزاهة الداعية وعفته في دعوته على قدر إخلاصه، وعلى قدر الإخلاص تكون الثمرة الطيبة ، وهذا ما عبر عنه الشيخ محمد العدوى بقوله "والشأن في كل داع لا يطلب أجرًا إلا مرضاة ربه أن يكون مخلصاً في دعواه[٥]:

(٢) عدم طلب الأجر من القواسم المشتركة بين الأنبياء : إن الناظر إلى دعوة الأنبياء جميعاً يرى أنهم جردوا أنفسهم من حظوظ النفس والدنيا، فلـــم يطلبوا أجرًا من أقوامهم حال دعوتهم ، وذكر القرآن الكريم ذلك عنهم وسطره ليكون ذلك منهجاً للدعاة على مر التاريخ إلى بعثة سيد الدعاة ﷺ فأعلنهـــا بوضوح كما أعلنها من سبقوه(قل لا أسألكم عليه أجرًا إن هـــو إلا ذكـــرى

---

[١] دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٤

[٢] جزء آية من سورة البينة رقم ٥

[٣] سورة الزمر الآية رقم ١١

[٤] الآيتان من سورة الأنبياء رقم ١٦٢-١٦٣

[٥] دعوة الرسل ص ٤

للعالمين)[١]، وفي قوله سبحانه (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكــر للعالمين)[٢]ولم يبق إلا أن يسير الدعاة على منوالهم ليفوزوا بنجاح الدعوة في الدنيا، ويسعدوا بالأجر والنعيم المقيم في الآخرة.

(٣) عفة الداعية وتجرده يأسران قلوب المدعوين : إن الداعية الــذي لا يطلب أجرًا على دعوته سرعان ما يصل حديثه إلى قلوب المدعوين، ويحرك عواطفهم ومشاعرهم تجاه العمل الصالح والزهد في الدنيا ، لأن ما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان، لــذا تجــد الرجلين يتحدثان عن موضوع واحد ، فتجد أن الناس أقبلوا علــى أحــدهما وأعرضوا عن الآخر، والفارق هو تجرد مَنْ أحب الناس حديثهلذا كان الأنبياء عليهم السلام يستحوذون على مشاعر أقوامهم بسبب تجردهم وإخلاصهم وكان من بينهم نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى هذا المعنى قائلاً "وبرهان أن دعوته تتصل بالقلب والوجدان"[٣]

(٤) التجرد التام يورث أمانة البلاغ : كلما كان الداعية عفيفاً في دعوته، نزيها في أداء مهمته ، كان أمينا في البلاغ دون زيادة أو نقصان، لذا قرن الله سبحانه بين الأمانة وعدم سؤال أجر على الدعوة في موطن واحــد، فقــال سبحانه (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله على وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)[٤]، لأن المتجرد لا يريد إلا وجه الله ، ومن ثم لا حاجة له في الكذب أو الافتراء .

يقول الشيخ محمد العدوى "يطالب نبي الله نوح كعادته في رفق ولين قومه بالتقوى ، ويريهم أنه كان ولا يزال معروفاً بالأمانة فيهم ، كمحمد ﷺ فــي قريش ، وما كان له أن يدع الكذب على الناس ثم يستبيح لنفسه أن يكذب على

---

[١]جزء آية من سورة الأنعام رقم ٩٠

[٢]سورة يوسف الآية رقم ١٠٤

[٣]دعوة الرسل، ص٤

[٤] الآيات من سورة الشعراء (١٠٥-١٠٩)

الله ، يذكرهم بماضيه معهم، علهم يقدرون قيمة ذلك ، وهو رسول أمين يعنى أنه ناصح لهم ، فهو أمين في رسالته ، ليس له أن يخون في شيء منهـا ، فيبلغها لهم كاملة غير منقوصة، وهي أمانة الله عنده لا يستطيع أن يبدل فيها أو يغير ، وعقب ذلك بما يرشدهم إلى أمانته وصدقه، إذ يقول " وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين"[١].

فانظر كيف أن نزاهة الداعية فيما في أيدي الناس تعينه على أمانة البلاغ والنقل والعزو مما يجعل الناس في شغف لاستماع حديثه وقـراءة مؤلفاتـه والانصات لخواطره.

هذا، وبانتهاء هذا المبحث، والذي به خُتم الفصل الأول، يتوجه الباحث إلى الفصل الثاني من هذه الدراسة، والذي هو بعنوان "موقف قوم نوح مـن دعوة نوح‎عليه السلام".

---

[١] دعوة الرسل ، ص ١٣-١٤

الفصل الثاني

"موقف قوم نوح من دعوة نوح عليه السلام"

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رفض نبوة البشر.

المبحث الثاني: أرذلية الأتباع.

المبحث الثالث: إلقاء التهم.

تمهيد:

من الطبيعي تقديم الإحسان للمحسنين جزاء صنيعهم، وشكراً لسـعيهم، وكان هو المرتقب من قوم نوح، أن يقابلوا مَنْ يدعوهم إلى الله ويدلهم على صراطه المستقيم بالاستجابة ووسمه بالسمات الحسـنة، والخـلال الطيبـة، والخصال الحميدة، غير أنهم خالفوا الأصل ونقضوا العهد، فبدل أن يشكروه، كفروا بدعوته، وصدوا الناس عن اتباعه ، وشنوا ضده حمـلات إعلاميـة موسعة تحمل سيلاً من التهم والأكاذيب في حق نوح عليه السلام وأتباعه المؤمنين، وهو ما ستتضح دراسته من خلال هذا الفصل الثاني، والذي يبدأ مبحثه الأول بـ "رفض نبوة البشر".

المبحث الأول: "رفض نبوة البشر"

مما لا شك فيه أن أهل الكفر يبررون لأنفسهم كفرهم ويضعون الأسباب الواهية التي تحيل بينهم وبين الاستجابة لأنبياء الله ورسله، وهو ما صنعه قوم نوح تجاه نبيهم ﷺفرفضوا الإيمان به لأجل بشريته، وادعو أن البشـر لا يصلح أن يكون نبياً ، ويعرض الشيخ محمد العدوي هذه الشبهة فيقول (يرى قوم نوح أن نوحا بشر مثلهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشـربون ، ومن كان كذلك لا يصلح أن يكون رسولاً)[١].

ويقول الأستاذ عفيف طبارة: "ولكن قوم نوح لم يستجيبوا لنصيحته ، ولم يأبهوا لإنذار الله لهم، وأنكروا عليه أن يكون نبياً لعدة أسباب، منها: أنه إنسان مثلهم يأكل ويشرب، فكيف يكون نبياً من كان بشراً مثلهم، فالنبي في نظرهم يجب أن يكون ملكاً لا بشراً"[٢]

وما قالوا هذه المقالة إلا لأجل إنكار رسالة نوح ﷺ والهـروب مـن الإذعان له ، ويفند الشيخ محمد العدوي هذه الشبهة الواهية فيقول، وهـذه الشبهة هي التي قالها أقوام الرسل حينما دعوهم إلى الله ، ألا ترى إلى قول الله تعالى في سورة الأنبياء "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُـونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَـةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) "[٣]

"وقد رد الله على هذه الشبهة بقوله "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)"[٤]وقال في سورة الفرقان "وَمَا أَرْسَـلْنَا قَبْلَـكَ مِـنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ

---

[١] دعوة الرسل ص ٦

[٢]مع الأنبياء ص ٦٢

[٣] الآيات ن ١-٣

[٤]سورة الأنبياء ٧-٨

فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)"[١] فالآيات المذكورة ترينا أن البشرية لا تنافي الرسالة ، ولا مانع من أن يمن الله على بعض البشر، فيختاره لذلك المنصب الجليل، ويصطفيه للوحي ينزل عليه ويبلغه للناس، ولله در بعض المفسرين إذ يقول : ما أعجب شأن أهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ورضوا للألوهية بحجر " [٢]

ويستفاد من إثارة هذه الشبهة والرد عليها ما يلي:

(١) تشابه قلوب المعاندين: إن أعداء الرسل تشابهت قلوبهم في إعلان العداوة للرسل، ومجابهة دعوتهم بكل الوسائل والسبل المتاحة لهم ، وتشابهت أقوالهم في إيذاء الأنبياء ورفضدعوتهم "كأن بعضهم كان يوصي بها البعض الآخر، ولا عجب فنفوس المستكبرين متشابهة وشهواتهم متفقة ، فلا عجب أن تكون آثارهم في محاربة الحق قد تشابهت، وكلماتهم في الطعن على المصلحين قد تقاربت"[٣] لأن دعوة الرسل كانت واحدة ، وتدعوا إلى غاية واحدة وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة واللغات ، فكذلك كانت العداوة لهم واحدة وإن تعددت اللغات واختلفت الأعصار والأمصار،لذا قال الله سبحانه عن تشابه قلوب المعاندين "أتواصوا به بل هم قوم طاغون"[٤] وقوله تعالى "وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون"[٥]فحري بالدعاة العمل على تحذير الناس من اتفاقهم على منكر أو باطل لئلا يتشبهوا بأعداء الرسل.

(٢) صعوبة القدوة: من اليسير أن يقتدي الإنسان بأخيه الإنسان، لأن النفوس واحدة ، والطباع متوافقة ، والعقول متقاربة ، والتصرفات ممكنة، لذا كان من حكمة الله سبحانه أن جعل الأنبياء من جنس أقوامهم، كما قال الله

---

[١] الآية رقم ٢٠

[٢] دعوة الرسل ، ص٦

[٣]دعوة الرسل، الشيخ محمد أحمد العدوي ص ١٢

[٤]سورة الذاريات، الآية رقم ٥٣

[٥] سورة البقرة الآية رقم ١١٨

سبحانه " لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"[١] وأكد القرآن في أكثر من موضع على أن الرسل مثل أقوامهم الذين أرسلوا فيهم من ناحية طبيعة الخلقة ، فقال سبحانه " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد"[٢] وقال ﷻ" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه"[٣] بخلاف لوكان الرسول من طبيعة أخرى أو جنس آخر، فإنه يصعب التعايش معه والاقتداء به ، ولحدث التنافر لوجود الفوارق الكثيرة بينهما ، قال الله سبحانه مخبراً عن أهمية إرسال الرسل من جنس أقوامهم "ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون"[٤] أي" ولو أنزلنا مع الرسول البشرى ملكاً، أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً ، لكان على هيئة رجل لتُفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البَشَرىّ كما قال تعالى " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً"[٥] فمن رحمة الله تعالى بخلقه أن يرسل إلى كل كل صنف من الخلائق رسلاً منهم، ليدعو بعضهم بعضاً، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال"[٦]وبناء على هذه الحكمة الإلهية فإنه يجب يجب على الدعاة دراسة مجتمعهم ومعرفة عاداتهم والوقوف على الفوارق الفردية بينهم ليتمكنوا من إيصال الدعوة على الوجه الأحسن والطريق الأمثل.

(٣) انتكاسة عقول المعاندين : إن الله تعالى خلق الناس على الفطرة السوية للعمل على قبول كل ما هو صالح ونافع ، فإذا انتكست الفطرة أتى

---

[١] سورة آل عمران ، الآية رقم (١٦٤)

[٢] جزء آية من سورة الكهف رقم (١١٠)

[٣] جزء آية من سورة فصلت ، رقم (٦)

[٤] سورة الأنعام، الآية رقم (٩)

[٥] سورة الإسراء، الآية رقم (١٠)

[٦] تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير ،ج٣ ، ص٢٧٦

أصحابها بالعجائب التي لا يقرها نقل صحيح ولا قلب سليم ولا عقل سـديد رشيد، ومن ثم الدخول في المتناقضات والوقـوع فـي مخالفـة الأصـول والأساسيات، وهذا ما حدث من قوم نوح حيث اعترضوا على النبوة من جنس البشر وقبلوا ألوهية الحجر، فما أشدها من انتكاسة ، وما أعظمها من فرية ، كما قال الله عنهم " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)"[١] فوصفوا الأصنام والتماثيل بالآلهة وفي المقابل أنكروا نبوة نوحعليه السلام لكونه بشراً !!

(٤) النبوة اصطفاء لا بالأمزجة والأهواء : لقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى أن اللهتعالى يختار من يشاء لرسالته فقال (ولا مانع من أن يمن الله على بعض البشر فيختاره لذلك المنصب الجليل، ويصطفيه للوحي ينـزل عليـه ويبلغه للناس)[٢] كما قال سبحانه "وإذا جاءتهم ءاية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته"[٣] وقوله سـبحانه: " الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سـميع بصـير"[٤] وقولـه جل جلاله"وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمـا يشركون"[٥] وفى هذا رد على قوم نوح الذين تمنوا أن تكون النبوة في غير نوح، فقال الله مخبرا عنهم مقالتهم "ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فيآبائنا الأولين * إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين"[٦]ورد عليهم عليهم نوح عليه السلام نفسه كما حكى القرآن عنه "أو عجتم أن جاءكم ذكر من ربكم

[١] سورة نوح الآية رقم ٢٣

[٢]دعوة الرسل ص ٦

[٣] جزء آية من سورة الأنعام رقم ١٢٤

[٤]سورة الحج، الآية رقم ٧٥

[٥] سورة القصص، الآية رقم ٦٨

[٦]الآيتان من سورة المؤمنون، ٢٤-٢٥

على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون"[١] وعلـــى هـــذا فـــالنبوة، اصطفاء، ولن تكون إلا من جنس البشر، فما بقي للناس إلا الإذعان والقبول، ولو كانت النبوة بالأمزجة والأهواء والمصالح لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، لأن مقياس البشر ومعيارهم ناقص و معوج، بخلاف اختيار الله تعالى فإنه قائم على الحكمة والرحمة والعدل.

(٥) منع النبوة في الملائكة من مقتضيات رحمة الله: من حكمة الله تعالى بعباده أن جعل النبوة من جنس البشر، لذا فإن الأنبياء يصبرون على أقوامهم، ويمهلونهم للتوبة والرجوع، بخلاف لو جاء النبي من جنس الملائكة، فإن مَنْ كفر حق عليه العذاب، ولم يُؤخر للأوبة والعودة، كما قال الله تعالى "وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون"[٢]وبناء على ذلك فلو أجيبوا إلى طلبهم ما آمنوا أيضاً لوقوعهم في الحيرة والشك كما كان أول أمرهم، فكان من لطفه سبحانه أن منعهم طلبهم، ومنع الله عطاء، ولـــو أجابهم لهلكوا جميعاً من أول تكذيب.

وإذا كان قوم نوح رفضوا دعوته لأجل بشريته، فإنهم رفضوها أيضـــاً لأجل أن مَنْ اتبعه وأذعن لدعوته من الأراذل، وهذا ما سيتم الحديث عنه من خلال المبحث التالي:

---

[١]سورة الأعراف، الآية رقم ٦٣

[٢] سورة الأنعام الآية رقم ٨

المبحث الثاني: "أرذلية الأتباع"

لما سيطر الكبر على قوم نوح وتشبعت نفوسهم بالمادية المحضة رفضوا الإذعان لنوح ﷺ لأجل أن من اتبعه أراذل الناس وسوقتهم وأنهم أهل المال والفضل فكيف يلتقي السادة والعبيد تحت مظلة دين واحد، ويعرض الشيخ محمد العدوي شبهة القوم فيقول "إن أتباعه من أراذل القوم وأدناهم منزلة، كأصحاب المهن الحقيرة من الصناع والعمال، ولو كانت دعوته حقة كان أتباعه من أصحاب العقوب الراجحة،والثراء الواسع، وذوي المكانة الذين يتبعونه عن بحث واقتناع، أما أراذل القوم ، فيتبعونه "بادي الرأي" بدون روية ولا نظر، ويصح أن يكون تقرير الشبهة على وجه آخر تفسره القصة في سورة الشعراء "قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"[1] يريدون أن لا ينبغي أن نتبعك وقد اتبعك سفلة القوم وفقراؤهم، ولا يصح لنا - مع ما نحن فيه من القوة والغنى - أن نكون قرناء لأولئك الأرذلين فيجمعنا معهم دين واحد، وملة واحدة،[2]وعلى منوال ما ذكره الشيخ محمد العدوي تابعه الأستاذ عفيف طبارة قائلا " ويبدو أن خطاب نوح لقومه أثر فيهم ولكنهم وجدوا أن أتباعه هم من الفقراء والضعفاء ويفصل بين هؤلاء وأولئك فوارق ضخمة مالية واجتماعية فاشترطوا عليهكييؤمنوابه أن يبعدهم عنه ويطردهم من الدعوة"[3] وبهذه الحجة الواهية المخالفة للعقل أعرض قوم نوح عن دعوته ﷺ ، بل وناصبوه العداء، وتواصوا فيما بينهم بالكفر به وبدعوتهوتوريث هذا العناد لأجيالهم المتعاقبة.

<u>ويستفاد من إثارة هذه الشبهة ما يلي:</u>

(١) النسب المصحوب بالكفر لا ينجي صاحبه: من رحمة الله بعباده أن جعل سبب نجاة العبد في إيمانه ولوكان من أفقر الناس ، وجعل سبب الهلاك في كفر الشخص ولو امتلك الدينا بأسرها ، وفي هذا مواساة للمؤمنين

---

[1] الآية رقم ١١١

[2] دعوة الرسل، ص ٦-٧

[3] مع الأنبياء، ص٦٣

الضعفاء، وتحذير للمعتمدين على أنسابهم مع بقائهم على الكفر والعناد ، وها هو ابن نوح ناله الغرق والهلاك وهو ابن أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأحد أولي العزم من الرسل، يقول الشيخ محمد العدوي وهو بصدد شرح قول الله تعالى "قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح "[١]" تأمل ذلك الحكم العادل الذي فرق بين نوح وبين فلذة كبده ، فجعل ولده في جملة الهالكين ، وجعل نوحاً في عداد المرسلين المجاهدين، وإنها لعبرة كبرى ، وآية عظمى، أن يكون الوالد في ناحية، والمولود في ناحية أخرى،الوالد في عداد الناجين، والولد في جملة الهالكين ، لأن الولد عمل غير صالح، ولعل في هذه القصة عبرة لمن يعتمدون على أنسابهم ويتكلون على غير عملهم وينسون قول الله تعالى "وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١)"[٢][٣]، وكما أشار القرآن إلى أننجاة العبد تكون بسعيه الصالح فأخبرت السنة النبوية أيضاً بأن من أهمل الدين ولم يؤمن به لم ينفعه نسبه ولم تسعفه قبيلته وعائلته ، فقال عليه الصلاة والسلام "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " [٤] وهذا ما كان مع ابن نوح، يقول الأستاذ عفيف طبارة "ثارت الشفقة في قلب نوح على ابنه فسأل ربه ضارعاً أن ينجي ابنه، ألم يعده ربه من قبل بأنه سينجيه مع أهله؟ وابنه من أهله والله إذا وعد وفى ، وهو أعدل الحاكمين . فأجاب الله نوحاً بأن ابنه الكافر ليس من أهله الذين وعدهم بالنجاة لأنه لم يؤمن بل أصر على الكفر، وقد عمل أعمالاً غير صالحة"[٥] فلتصوب جهود الدعاة نحو حث المدعوين على فعل الخيرات والإكثار من القربات، وتجنب الكبائر والمحرمات، وعدم الاتكال على الحسب

---

[١] جزء آية من سورة هود رقم ٤٦

[٢]الآيات من سورة النجم ٣٩-٤١

[٣]دعوة الرسل، ص ٩

[٤]جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ط٤، ص ٢٠٧٤، حديث رقم (٢٦٩٩)

[٥]مع الأنبياء، ص ٧١

أو النسب دون العمل الصالح فإنه من المهلكات

(٢) انعدام الوعي بسنة الله في خلقه : من الأمور التي غفل عنها قوم نوح عدم معرفتهم بسنة الله في عباده أن الفقراء والضعفاء هم أول المتبعين للرسل، لأنهم كانوا أذلاء مقهورين ، تقع عليهم المظالم ، وتنسب إليهم التُهم ، وتهدر كرامتهم ، فبمجردأن يبعث الله تعالى رسولاً إلى الناس، فهم أول المسارعين إلى الاستجابة لما يرون في هذا الدين من السماحة والعدل ورفع منزلتهم وعدم مؤاخذتهم بفقرهم وضعفهم ، ولو وقف قوم نوح على هذه الحقيقة لم يقولوا ما قالوا في حق إخوانهم الضعفاء، وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى انطماس بصيرة القوم ، فقال "ولو كانوا من أهل العلم ما عابوا على نوح أن يتبعه الفقراء والضعفاء لأنهم أتباع الرسل في كل زمان ومكان، ولكنهم قوم يجهلون سنة الله في ذلك ، كما يجهلون أن نوحا عليه السلام جاء برسالة من ربه ، ويهمه أن تبلغ الناس ، ملوكهم وسوقتهم ، أغنياءهم وفقراءهم "[١] والعجيب أن أهل الكتاب على عهد نبينا ﷺ كانوا يعلمون هذه السنة التي جعلها الله في استجابة من يستجيب للرسل ، فها هو هرقل قال لأبي سفيان رضى الله عنه "وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل"[٢]، وسنة الله لا تتبدل ولا تتغير، فمن مبعث نوح عليه السلام إلى مسك الختام ﷺ وأتباع الرسل في أول الأمر من الفقراء والمعوزين.

(٣) طرد المؤمنين الفقراء ليس من مؤهلات الأولياء: إن المؤمن الذي أذعن للحق، واستجاب لنداء ربه صار في معية الله وحفظه، ولا يستطيع ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي طاهر أن يطرده لأجل فقره وقلة حيلته، وهذا ما صرح به نوح عليه السلام عندما رد على قومه لما طالبوه بطرد الضعفاء، فقال "وما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون* ويا

---

[١] دعوة الرسل، ص٧

[٢]جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ك بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ج١ ، ص ٨ حديث رقم ٧

قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون"[١] وعدم امتلاك طـرد المؤمنين الفقراء هو من العوامل القوية لإيمان هؤلاء الفقراء، يقول الأستاذ عفيف طبارة وهو يشرح رد نوح عليه السلام على قومه "لست بطارد أحداً من الذين آمنوا استجابة لطلبكم وبسبب احتقاركم إياهم ... ويا قومي لا يستطيع أحد أن ينصرني ويمنع عني عقاب الله إن طردتهم بعد إيمانهم، أفلا تتذكرون بأن لهم رباً ينصرهم؟!"[٢] ولم يكون هذا هو موقف نوح عليه السلام وحده، بل تتابع الرسل على احترام المؤمنين الضعفاء، فها هو رسول الله ﷺ ينهاه ربه عن طردهم فقال سبحانه "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين"[٣] بل أمره بالصبر على مجالستهم وعدم الإصـغاء لمطالـب قريش في طرد الفئة المؤمنة الضعيفة، فقال سبحانه "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينـة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـواه وكـان أمـره فرطاً"[٤]،

هذا، وإذا كان لا يقدر أحد على طرد المؤمنين الفقراء فلا يستطيع أحد الادعاء بأن الله لا يعطيهم أجراً على إيمانهم لأجل ضعفهم، وهذا من سماحة الإسلام وعدله، ونهيه عن الحكم على أشياء لا يعلم عنها الداعية شيئاً، كما قال نوح عليه السلام رداً على الملأ من قوله "ولا أقول للذين تزدري أعيـنكم لـن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين"[٥]، يقول الشيخ محمد العدوي "ولا يحكم على مَنْ استرذلوا من المؤمنين لفقرهم أن الله لـن يؤتيهم خيراً لهوانهم عليه، ولو قال ذلك لكان ظالماً لأن الله أعلم بمـا فـي

---

[١] الآيتان من سورة هود، رقم ٢٩-٣٠

[٢] مع الأنبياء، ص ٦٤

[٣] سورة الأنعام، الآية رقم ٥٢

[٤] سورة الكهف، الآية رقم ٢٨

[٥] جزء من آية من سورة هود، رقم ٣١

نفوسهم فيحاسبهم عليه، ويجزيهم بما تكنه صدورهم"[١]، وبناء على ذلك فلا حق لقوم نوح فيما ادعوه من شبهات واهية حول أرذلية المؤمنين، وإنما أرادوا إنكار رسالة نوح ﷺ فعلقوا هذا الإنكار على أشياء لا أساس لها من الصحة، وثبت أن القوم أهل عناد واستكبار ملأ قلوبهم وظهر على جوارحهم وألسنتهم.

إذا تقرر هذا، فإن قوم نوح لم يكتفوا بالإعراض عن دعوته لأجل بشريته وأن أتباعه من الأراذل، بل قاموا بكيل التهم له ولدعوته ﷺ، فلم يتركوا باباً فيه تشويه صورة نوح ﷺ إلا ودخلوه، وما رأوا طريقاً يُكال فيه التهم له إلا وسلكوه، وهذا ما سيتم الكشف عنه من خلال المبحث التالي:

---

[١] دعوة الرسل، ص ٨

المبحث الثالث: "إلقاء التهم"

لما لم يجد قوم نوح ما يأخذونه على رسالة نوح عليه السلام من خطأ أو تناقض أو نقص اتجهوا إلى أمر آخر يعادونه من خلاله وهو النيل من شخصه عليه السلام، والقوم لا يملون من كيل التهم سواء ليلاً نهاراً أم سراً وعلانية، وبذلك انتقلوا من الاتهام لدعوته إلى التجريح لشخصه، وذلك على النحو التالي:

(١) الوصف بالجنون:وصلت عداوة قوم نوح أن وصفوا نوحاً عليه السلام بالجنون وغياب العقل، وعدم إدراكه لما يقول، ويعرض الشيخ محمد العدوي فرية قوم نوح، فيقول "قد سمحوا لأنفسهم أن يصفوه بالجنون، وهم يعلمون أنه من أرجح الناس عقلاً، وأوزنهم قولاً، وصموه بتلك الوصمة وقالوا في شأنه، "إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين"[١] عله بطول الزمن يفيق من جنونه، وينجلي أمره، وهي فرية قيلت لجميع الرسل، ألا ترى إلى قول الله تعالى "كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون"[٢] كأن بعضهم كان يوصي بها البعض الآخر"[٣] والعجيب أن أعداء الرسل جمعوا في زعمهم بين المتناقضين فوصفوا الرسل بالسحر والجنون، وهما لا يجتمعان، لأن السحر يحتاج إلى خفة حركة، وذكاء عقل، وفراسة شديدة في التخلص من مواقف الحرج والزلل، بخلاف الجنون، فإن صاحبه لا يمتلك أي مؤهلات كالساحر، وبهذا يظهر كذب القوم وافتراءهم، لأن الكاذب هدفه الطعن في عدوه، فلا يتدبر في مقالته، ولا ينقح ألفاظه، ومن ثم يفضح نفسه بنفسه من خلال الجمع بين المتناقضات.

(٢) الوصف بالتفضل عليهم :لم يكتف القوم بوصفه بالجنون، بل ذهبوا للبحث عن مطعن آخر يصفوا به نبي الله نوح عليه السلام، فادعوا أنه أراد الاستعلاء

---

[١] سورة المؤمنون، الآية رقم ٢٥

[٢] الآيتان من سورة الذاريات رقم ٥٢-٥٣

[٣] دعوة الرسل، ص ١٢

على قومه، وغروره بنفسه، وهم بهذا الافتراء قد طعنوا في نيته، وشككوا في ضميره، لنعلم أن الأنبياء أوذوا أشد الإيذاء في دعوتهم، وأشخاصهم، وفي كل شيء يتعلق بهم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال لما سئل عن أي الناس أشد بلاءً؟ الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبــرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"(١)، ويعــرض الشيخ محمد العدوي هذه الفرية فيقول "يطالب نبي الله نوح قومه بعبـادة الله وحده في رفق ولين فيقابله الملأ المستكبر مقابلة منكرة ويرمونه بأنه لا يريد بهذه الدعوة إلا أن يتفضل على الناس ويرأسهم، لأنه بشر يماثل الناس، وليس له مزية عليهم بها يكون رسولاً، وهي الفرية التي قالها فرعــون لنبـي الله موسى وأخيه هارون "قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين"(٢)"(٣) وهذا الفرية مذكورة في قول الله تعالى "فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم"(٤) ويستفيض الشيخ محمد العدوي في تفنيد هذه الشبهة والفرية المقيتة فيقول " أما أن نوحاً يريد أن يفضل الناس ويرأســهم فــذلك خلــق الأشراف والسادة الذين يريدون أن يتعبدوا الناس، أما الرسل الذين يحملون في حنايا دعوتهم أن كل الناس لآدم، وآدم من تراب، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، فلاحظ لهم من هذه الفرية، لا في قليل ولا كثير، وفي المثل [رمتني بدائها وانسلت] الرسل لم يريدوا أن يتفضلوا على الناس ولكن عاقبة أمرهم أن يكون قادة، وأئمة إصلاح، يلتف الناس حولهم، ويترسمون خطاهم

---

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، جـ٤، ص ٦٠١، حديث رقم ٢٣٩٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ٢ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

(٢) سورة يونس، الآية رقم ٧٨

(٣) دعوة الرسل، ص١٠

(٤) جزء آية من سورة المؤمنون رقم ٢٤

وذلك ما يخشاه المستكبرون وعباد الشهوة على أنفسهم، فهم يعلمون أن الرسل ما أرادوا التفضل على الناس، ولكنهم تضطرهم مهمتهم التي كلفوا بها من الله – وهي خلافته في عمارة الأرض والإصلاح فيها – أن يكونوا سادة الأمم، حاملين لواء الحق، مكافحين عن بيضة الدين، قدوة صالحة، ومثلا عالية في الخلق والفضيلة، وإنها لعاقبة ما أشدها على المستكبرين الذين لم يريدوا أن يفضلوا الناس بعلم أو عمل، وإنما يريدون أن تكون لهم العظمة والعزة لأنهم من البيوتات الكبيرة، وأصحاب الثروة الطائلة، فنبي الله نوح عليه السلام لم يرد أن يتفضل على الناس، ولم يخطر له ذلك الخاطر على بال، وإنما أراد أن يبلغ رسالات ربه، ويقوم بما أوجبه الله عليه، فإذا عنَّ له أن يفضل الناس فإنما يريد أن يفضلهم في أداء الواجب، والاضطلاع بمهام الرسالة، والصبر على الإيذاء والاحتمال في ذلك السبيل، مما يجعله مضرب الأمثال في الخلق الطيب، والسيرة المرضية، ذلك هو الذي يريد أن يفضل الناس به، أما رجل يريد أن يتفضل بدون فضل، ويمتاز بلا ميزة، فذلك ما يمقته الدين، ولا يرضى عنه خلق، ولا يستسيغه عقل، وهو ما ينبغي أن يحارب من خلق المستكبرين والمتعاظمين"[١].

ومما يستفاد من هذا الرد الدعوي والتفنيد العلمي ما يلي:

١. إلقاء التهم من القواسم المشتركة بين أعداء الرسل تجاه أنبيائهم ، كما قال الله تعالى لرسوله γ: "ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك"[٢] ومن شدة الابتلاءات أمر الله سبحانه رسوله أن يتأسى بمن سبقوه من أولى العزم من الرسل وعلى رأسهم نوح عليه السلام في جانب الصبر، فقال سبحانه "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" [٣] وجميع الأنبياء وقع عليهم الابتلاءات إلا أن الله سبحانه خص أولى العزم منهم لمزيد الابتلاءات التي تعرضوا لها وصبروا عليها.

---

[١] دعوة الرسل، ص ١٠-١١

[٢] جزء آية من سورة فصلت رقم ٤٣

[٣] جزء آية من سورة الأحقاف رقم ٣٥

٢. لما كان الملأ والأشراف من أعداء الرسل نظرتهم نظرة مادية بحتة، وغايتهم البحث عن متاع الدنيا ، ظنوا أن أنبياء الله ورسله كذلك، فاتهموهم بأبشع الصفات، وهذا يدل على خسة القوم ودناءة أنفسهم، لأن كل بئر بما فيه ينضح.

٣. أن أعداء الرسل وأعداء الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان قـد يحبون الصالحين لكنهم يكرهون المصلحين ويعادونهم على طول الخط ، لأن الصالح يعود أثر صلاحه على نفسه بخلاف المصلح فإن أثره يعود على نفسه ومجتمعه بل وأحياناً دولته وعالمه الإسلامي ويكون سبباً في منـع وقـوع العذاب ، كما قال سبحانه ، "وما كان ربك ليهلـك القـرى بظلـم وأهلهـا مصلحون"[(١)] ولشدة أثرهم الإيجابي في المجتمع خصهم الله بالذكر في عدم ضياع أجر إصلاحهم ، فقال تعالى "والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين" [(٢)]ولما كان الرسل على رأس قائمة المصلحين ، فإن أقوامهم ناصبوهم العداء ، وهكذا، كلما كثر إصلاح الداعية كثر أعدائه ، غير أنه لا يبالي، لأن من أراد وجه الله هانت عليه الابتلاءات والشدائد.

٤. أن رسل الله قاموا بتبليغ دعوة ربهم خير قيام ، ولم يعقهم افتراءات الأقوام وأكاذيبهم، بل حفزهم هذا الابتلاء على مواصلة الطريق دون انقطاع أو يأس، وبناء على ذلك فينبغي للدعاة السير على منوالهم بعدم الفتور عـن الدعوة ، أو الإعراض عنها بحجة اتهامات المفسدين وأقاويل المرجفين ، وهذا ما كان من نوح عليه السلام، فإن مدة دعوته طالت عن أي دعوة أخرى ، ولم ينقطع مع قلة من ءامن ، بل اتخذ كل الأساليب الناجعة والوسائل الناجحة التي تخدم دعوته وتأخذ بأيدي الناس إلى بر الأمان والسلامة.

(٣) رفع مكانة الدعاة المخلصين والعلماء المصلحين وشهرتهم في الآفاق – وإن كانوا لا يبغون هذه الشهرة – بسبب شرف مهمتهم ، وسمو رسالتهم، وأن كل داعية أراد وجه الله والدار الآخرة من وراء دعوته فله نصيب مـن

---

(١) سورة هود، الآية رقم (١١٧)

(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم (١٧)

البشرى التي مَنَّ الله بها على رسولهﷺ في قوله سبحانه " ورفعنا لك ذكرك "[١]، وها هو نبي الله نوح عليه السلام مر على دعوته القرون العديدة والأزمنة المديدة، ولا يزال وإلى قيام الساعة ، يُذكر بالتضحية والجهاد في ميدان المجال الدعوي

(٤) الاتهام بالكذب : لم يستحي قوم نوح أن ينسبوا الكذب إلى نوحعليه السلام، وهم يعلمون حق العلم كمال صدقه وتمام حسن حديثه ، فقال سبحانه حاكيا مقالتهم " وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين"[٢]، يقول الأستاذ عفيف طبارة"اتهموا نوحاً ومن آمن معه بالكذب ، ولم يكونوا متأكدين من اتهامهم هذا بل كانوا يبنونه على الظن"[٣]ويضيف الشيخ محمد العدوي إضافة تبين أن القوم لم يكونوا على يقين من مقالتهم قائلاً "وقد اقتصروا في نسبة الكذب إلى نبي الله نوح فلم يقطعوا به حتى لا ينسبوا إلى المجازفة"[٤] لأن واقع نوحعليه السلام وسيرته ومسيرته تبرهن على صدقه ، وتستنكر وصمه بالكذب ، لذا جاء اتهام القوم بأسلوب الشاك المتردد ، لذا يجب على الدعاة أن تكون صفحتهم بيضاء حتى لا يجد أهل العناد ثغرات يشوهون من خلالها صورة الدعاة .

(٥) السخرية والازدراء: بلغ من سفاهة قوم نوح وحمق تصرفاتهم أن استهزءوا بنبيهم لما أمره الله تعالى بصنع السفينة ، قال تعالى " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوق تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم"[٥]،يقول الأستاذ عفيف طبارة "شرع نوح في صنع السفينة وكان تحوله من داع إلى الله إلى نجار سبباً في تعجب الكفار منه والسخرية به ، وكان نوح

---

[١] سورة الشرح ، الآية رقم ٤

[٢] جزء آية من سورة هود، رقم (٢٧)

[٣] مع الأنبياء، ص٦٢

[٤] دعوة الرسل، ص٧

[٥]الآيتان من سورة هود، رقم ٣٨-٣٩

إزاء سخريتهم يقول لهم : إن كنتم تهزأون بي و بمن معي من الذين آمنـــوا فإننا سنهزأ بكم عما قريب لأنى أعلم ما سيحل بكم من عذاب وهلاك، وسوف تعلمون من سيأتيه عذاب يذله في الدنيا، كما سيحل عليه في الآخرة عـــذاب دائم خالد"[١] وبناء على ذلك فإن الداعية لا يمل ولا يفتر عن الدعوة إذا سخر منه الناس، وفي المقابل أيضاً : من حق الداعية أن يرد الإساءة التي وُجهت إليه دون اعتداء، كما قال سبحانه "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مـــا اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين"[٢].

هذا، وسخرية الناس من الداعية دليل على نجاحه وتفوقه، إذ إن الناس لا يسخرون من الفاشل ولا يوجهون ألسنتهم بالازدراء تجاه الكسالى والمحبطين، وإنما يصوبون ألسنتهم وأقلامهم نحو المصلحين، والمجددين، ودعاة الحق.

وبهذا لم يسلم نوح عليه السلام من قومه في أي جانب مـــن جوانـــب حياتـــه الدعوية، وهذا يدل على أن طريق الدعوة يحتاج إلى جلد وتهيئة نفس علـــى الصبر لما يلاقيه الداعية من فتن وابتلاءات،

إذا تقرر هذا، فماذا عن المستفاد من دعوة نوح عليه السلام؟ هذا ما ستتم دراسته من خلال الفصل التالي والأخير :

---

[١] مع الأنبياء، ص ٦٩

[٢] جزء آية من سورة البقرة رقم ١٩٤

الفصل الثالث

"المستفاد من دعوة نوح ﷺ لقومه"

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: بلاغة القرآن في وصف الطوفان.

المبحث الثاني: أسبقية القرآن في الإخبار عن الحقائق العلمية.

المبحث الثالث: التوفيق بين الطبقات.

المبحث الرابع: حسن التوكل على الله تعالى.

المبحث الخامس:شرعية الدعاء.

مدخل:

• لما كانت مدة دعوة نوح ﷺ لقومه طويلة على غير المعتاد من مدة دعوات سائر الرسل من بعده، ولما كانت دعوته مليئة بالجد والاجتهاد والمثابرة واستخدام كل ما هو متاح ومشروع لتبليغ دين الله ، ولما طالما وقف له قومه بالمرصاد في كل طريق وعلى كل سبيل، ولما كان هلاك قومه بطريقة تعجب منها القاصي والداني، ظهرت دروس مستفادة وعبر مستقاة من هذه الدعوة المباركة، تكون في ثنايا هذا الفصل الثالث والأخير، والذي يبدأ مبحثه الأول بـــ "بلاغة القرآن في وصف الطوفان".

المبحث الأول: "بلاغة القرآن في وصف الطوفان"

مما هو معلوم أن القرآن الكريم ذكر جوانب عدة عن أمر الطوفان وذلك لأهمية الحدث عبر التاريخ الإنساني كله، وقد أشار الأستاذ عفيف طبارة إلى ذلك فقال" إن طوفان نوح من أبرز الحوادث التاريخية وأشدها وقعاً في النفس الإنسانية من حيث إنه من أقسى العقوبات التي عاقب الله بها الكفار ، كما أنه من أمارات قدرة الله العظيمة "وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمينعذاباً أليماً"[١]

ويستفاد في ضوء ذلك أن القرآن الكريم – وكذلك السنة النبوية الصحيحة – هو أثبت مصدر في ذكر أخبار السابقين دون زيادة أو نقصان ، بخلاف كتب التاريخ فإنه قد يطرأ عليها الزيف والتحريف، وتسليط الضوء على زاوية دون أخرى ، بخلاف القرآن الكريم فإنه يعطيك الحدث كأنك تراه رأى عين.

ثم استفاض الأستاذ عفيف طبارة في الحديث عن بلاغة القرآن في وصف هذا الحدث التاريخي فقال "والمتأمل في الآيات القرآنية التي وصفت بدء الطوفان وانتهاءه يراها في أعلى منزلة من الفصاحة والبيان مما يشهد أن القرآن وحي إلهي فوق مستوى البشر تأمل هذه الآيات التي وصفت بدء الطوفان "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ"[٢] ما أروع هذه الصورة التي رسمها القرآن للطوفان، مطر من السماء ولكن ليس كالمطر بل ماء غزير يحدث السيول الجارفة ، والأرض ينبع منها الماء ولكن ليس من مكان واحد أو أمكنة متفرقة ، بل الأرض كلها تتفجر عيونا ، فلو قال القرآن : وفجرنا عيون الأرض لم تعط المعنى المراد وهو أن الأرض كلها صارت عيوناً ، ثم ها هو ماء الأرض وماء السماء يلتقيان ليحصل من جراء ذلك الطوفان

---

[١] سورة الفرقان ، الآية رقم (٣٧) ، مع الأنبياء ، ص ٧٥

[٢] الآيات من سورة القمر (٩-١٤)

العظيم، ووسط هذا الطوفان تسير السفينة بمن فيها من المؤمنين بأمـــان الله ورعايته "[١] ويواصل الأستاذ عفيف طبارة حديثه عن وصف أسلوب القرآن للطوفان ووقعه في الأنفس والأسماع فيقول " ثم تأمل أيها القاري أسلوب هذه الآيات وما تحمله من إيقاع موسيقي وكيف يتحدّر الكلام فيها بسهولة لفــظ وعذوبة سبك، وتأمل أطراد الفاصلة في آخر الآيات على نسق معين ممــا يعطي للقرآن قوة في التعبير وتأثيراً في النفس"[٢]، وكما تحــدث الأســتاذ طبارة عن بداية وصف الطوفان فإنه علق على وصف القرآن لنهاية الطوقان وذلك بقوله "ويصف الله انتهاء الطوفان بهذه الآية التي ترتقي إلـــى أعظــم مراقي البلاغة "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِــيضَ الْمَــاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[٣]والمتأمل في هذه الآية يراها تصف الطوفان بأوجز لفظ وأبلغه فترى فيها حسن النسق حيث أتى الله بجملها معطوفة على بعضها بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، فقد بدأ سبحانه بذكر الأهم وهو إطلاق أهل السفينة إلى البــر، ولا يحصل ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك أمر الله الأرض بأن تبلع ماءها بقوله تعالى " ابْلَعِي مَاءَكِ" ثم إن الأرض لو ابتلعت الماء ولم تنقطــع الأمطار المنهمرة لتأذى بذلك أصل السفينة عند خروجهم منها ، وربما كان ما ينزل من السماء معوضاً لما تبتلعه الأرض من الماء لذلك أمر الله الســماء بقوله "وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي" أي : امسكي عن إرسال المطر"[٤]

"ثم أشار الله إلى النتيجة التي ترتبت على ذلك بقوله "وغيض الماء" أي ذهب الماء، فإن "غيض" تشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض الماء، ثم بيّن الله الغاية التي توخّاها من الطوفان بقوله "وقضي الأمر" وحقيقة معناها : هلك من قضى الله هلاكه ، ونجا مـــن

---

[١] مع الأنبياء، ص ٧٥-٧٦

[٢] المصدر السابق، مع الأنبياء، ص ٧٦

[٣] سورة هود، الآية رقم ٤٤

[٤] مع الأنبياء، مصدر سابق، ٧٦-٧٧

قدر له النجاة. وجملة : "قضي الأمر" تشعر بأن الإهلاك والإنجاء كانا بأمر مطاع، وقضاء من لا يرد قضاؤه . كذلك يصف القرآن استقرار السفينة على جبل الجودي بلفظ "استوت" دون " استقرت"، لما في الاستواء من الإشـــعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولاميل ولا حركة، فبهذا الاستواء تسكن قلوب أهل السفينة ويسهل خروجهم منها بدون خوف بخلاف معنى "استقرت" فإنه يحمل معنى الزيغ والميل، وأخيراً يُنهي القرآن الآية بقوله "وقيل بعداً للقوم الظالمين" وهذا دعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم الذين من بعدهم أن جميع من هلك كان مستحقاً للهلاك، احتراساً لما يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب"[١].

فالداعية يدرس علم البلاغة دراسة متقنة كي يستطيع عرض القصـــص القرآني والنبوي بأسلوب شيق يعود بالنفع على السامعين، ويؤثر في نفوس المدعوين، ومن ذلك :

١. أهمية ترتيب الأحداث من أولها، مروراً بما تم فيها، ختاماً بنهايـــة طبيعية، دون الإخلال بمرحلة من هذه المراحل، أو سقط لـــبعض الأحـــداث المهمة، ليخرج الداعي والمدعو في آن واحد بكل تفاصيل القصة وأجزائها، كما تم في سرد القرآن الكريم لأمر الطوفان وغرق قوم نوح المعاندين، ونجاة الموحدين.

٢. أهمية التقديم والتأخير في الكلام، ليصل المعنى المراد إلى أذهـــان المستمعين، ولا يُحسن هذا الأسلوب إلا من درس علم العربية بإتقان ودقـــة على يد أهل التخصص، وذلك مثل قول الله تعالى "وفجرنا الأرض عيوناً" فهي ليست كجملة "وفجرنا عيون الأرض" وأيضاً مثل قوله تعالى "واشتغل الرأس شيباً"[٢] فهي ليست كجملة " واشتعل شيب الرأس " وهكذا .

٣. أهمية الإيجاز في عرض القصة دون إخلال بأي جانب من جوانبها، لأن الإيجاز يدل على استيعاب المتكلم لما يقوله، وفهم مقاصد حديثه، لذا يعبر

---

[١] المصدر السابق، ص٧٧

[٢] جزء آية من سورة مريم رقم ٤.

عنه بأسلوب وجيز، ولأهمية الإيجاز جعله النبي ﷺ علامة على فقه الخطيب، فقال "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته، مئنَّةٌ من فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً"[١]، بخلاف من لم يستوعب قصته أو درسه أو خطبته فيكثر لديه الكلام السطحي الإنشائي، وربما يخرج عن نطاق موضوعه ويتشعب، فيضيع بهاء الحديث ويذهب رونقه.

٤. أهمية اختيار الألفاظ المعينة على فهم المقصود، وعدم الإتيان بألفاظ تُحدث لبساً أو يفهمها المستمع على غير وجهها المراد، ويتعين على الداعية في هذا المقام كثرة مطالعة معاجم اللغة، والوقوف على تفاسير القرآن المعنية بشرحه من ناحية دقة المفردة القرآنية، ليتخير أنسب لفظ يوافق حديثه.

هذا، وإن القرآن الكريم لم يكتف بالإعجاز من ناحية البلاغة وفصاحة الألفاظ، بل ضم إلى ذلك أشياء عديدة، على رأسها الإخبار عن الحقائق العلمية المكنونة في الآفاق وفي الأنفس، وهذا ما سيتم الحديث حوله من خلال المبحث التالي:

---

[١] رواه الإمام مسلم في صحيحه، ك الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ص ٤١١ حديث رقم ٨٦٩.

المبحث الثاني :أسبقية القرآن في الإخبار عن الحقائق العلمية

من الأمور المستفادة الواردة في قصة نوح عليه السلام الحديث عن الإعجاز الكوني والإنساني، وأن العلم الحديث بما احتوى على تكنولوجيا متطورة وأجهزة متقدمة لم يستطع الوقوف على بعض هذا الإعجاز إلا في الآونة الأخيرة مما يدل على أن القرآن الكريم من لدن حكيم خبير، ولا يقدر عليه بشر مهما كانت إمكاناته العلمية والعقلية، ويعرض الأستاذ عفيف طبارة الحقائق العلمية الكونية الواردة في قصة نبي الله نوح عليه السلام، فيقول "إن القرآن في وصفه قدرة الله في هذا الكون يسبغ على الوصف المراد تعبيراً دقيقاً فهمه العرب منذ أربعة عشر قرناً، فهماً ينسجم مع ما وصلت إليه عقولهم من الإدراك، كما يفهمه الرجل المتمدن اليوم فهماً جديداً بما تسلح به من علم ومعرفة، وبما توصل إليه من مكتشفات علمية في مجال هذا الكون، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن، ولكن هنا سنقتصر على مثالين وردا في قصة نوح، جاء في القرآن "وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً"[١]، فالله سبحانه يُعلن بأن الشمس تشبه السراج الوهاج: أي السراج المضيء المتقد بلهب وهو الذي يُضاء بالزيت أو الكحول، والسراج له ضوء ذاتي، وقد بيِّن العلم أن الشمس كتلة غازية ملتهبة، وأنها تستمد طاقتها من تفاعلات وانفجارات نووية، فاتفق العلم مع القرآن من حيث أن الشمس مكونة من لهب وأن هذا اللهب يستمد طاقته من مركزها الداخلي، كما وصف القرآن القمر بأنه "نور" فهو إذن كتلة مظلمة، وضوؤه مكتسب ومعكوس منه، وهذا ما أثبته العلم من أن القمر جرم مظلم يستمد نوره من الشمس"[٢].

- فانظر كيف أن النص القرآني يتجدد بما يراعي بيئة وزمان وإمكانات كل عصر، وهذه سمة لا توجد إلا في القرآن والسنة، بخلاف أي علم آخر فله حدود ينتهي عندها، وفي هذا درس للدعاة أن يكثفوا الدعوة حول الإعجاز الكوني الذي يلفت نظر الناس عامة، والغرب خاصة إلى عظمة الإسلام

---

[١] سورة نوح ، الآية رقم ١٦

[٢] مع الأنبياء ، ص ٧٧-٧٨

ومكانته العلمية الإعجازية التي تعلو كل طاقات البشر، وأن الدعوة من خلال هذا الطريق دعوة ناجحة وهادفة لأنها تدل العقول على أسبقية الإسلام في الإخبار عن الحقائق العلمية، والتي لم يتوصل إليها العلم الحديث بما امتلك من أدوات متقدمة وتقنية عالية إلا في الآونة الأخيرة، ولا يزال يهيمن عليه الغموض في كثير من حقائق القرآن والسنة العلمية.

– وإذا كان الأستاذ عفيف طبارة قد ذكر جانباً من الحقائق الكونية الواردة في قصة نوح ﷺ فإنه قد انتقل إلى جانب آخر وهو الحقائق العلمية المتعلقة بالأنفس فقال "وجاء في القرآن على لسان نوح "والله أنبتكم من الأرض نباتاً"[١] فهذه الآية تعلن أن الله سوّانا من النبات، وأن استمرار حياتنا يتوقف على النبات، ومن المدهش أن هذه الآية هي حقيقة علمية، فقد جاء في كتاب "الماء معجزة الطبيعة"[٢]" قرر علماء الأحياء أنه لا بد لجميع الحيوانات، وضمنها أنا وأنت أيها القارئ، وكذلك جميع البكتيريا أن تعيش عن طريق أكل النباتات أو المنتجات النباتية أو الحيوانات التي أكلت هذه النباتات، فقد تأكل سمكة كانت تعيش على أكل أسماك أصغر، وهذه بدورها كانت تعيش على أسماك مازالت أصغر أو على ديدان أو غيرها من الحيوانات، ولكن إذا تتبعنا هذه السلسلة حلقة حلقة فلا بد أن نجد نباتات في نهايتها... فالنباتات إذن هي قاعدة وأساس هرم الحياة التي يحتل الجنس البشري قمته "وهكذا نرى أن القرآن أوجز وصف غذاء الإنسان والعناصر التي يعيش منها كما قرره العلم الحديث"[٣].

– ويتعين على الداعية حيال هذا الأمر أن ينبه المدعوين لا سيما غير المسلمين منهم إلى أن القرآن أرشدهم إلى التفكر في طبيعة خلقهم وطريقة تكوينهم ، فقال سبحانه "أولم يتفكروا في أنفسهم"[٤] وأن القرآن الكريم يخاطب

---

[١] سورة نوح، الآية رقم ١٧

[٢] تأليف : طومسون كينج

[٣] مع الأنبياء، مصدر سابق ، ص ٧٨

[٤] جزء آية من سورة الروم رقم ٨

كل عصره بما يمتلك من قدرات، فهذه الآية الإنسانية أخبر بها نـــوح عليه السلام قومه، وفهموا منها ما فهموا حسب إمكانات عصرهم، وها هو القرآن أيضا يخاطب بها أهل التقدم والتطور في مجال علم الحياء، ووقفوا منها على مـــا وقفوا، وتبقى الآية القرآنية أكبر من أن تُحصر في بيئة أو زمان بعينه، بل تتغير البيئات، وتذهب الأزمان، وتظل المعجزة القرآنية تُبرهن على وجود الله تعالى، وتثبت صدق رسول الله ﷺ، وتؤكد أنها تتوفق مع العلم فـــي أعلـــى مراحل تقدمه.

– وأيضًا ينبغي للداعية الحصيف أن يتتبع كتب المتخصصين في هذا الفن لاسيما غير المسلمين منهم ويعرضه على الناس في ثوب دعوي للعمل على جذبهم إلى نور الإسلام ورحابه ، لأن المدعو الغربي إذا علم أن إثبات هذه الحقائق العلمية جاء على يد بني جنسه فإنه أدعى لقبوله وأقرب لاستجابته ، من باب وشهد شاهد من أهلها ، وهذا بدوره يؤكد على الداعية أن يكون على قدر عال من معرفة اللغات الأخرى أو متابعة المترجمين الأمناء.

إذا تقرر هذا، فماذا عن توفيق الإسلام بين الطبقات المختلفة، والفئـــات المتناحرة، والتي عمل نوح عليه السلامعلى إرساء معالم المساواة بينهم؟ هذا ما سيتم الكشف عنه من خلال المبحث التالي:

المبحث الثالث: "التوفيق بين الطبقات"

من العدالة في الإسلام أن الله تعالى لا يؤاخذ العبد بما لم يكن من كسبه كجمال صورة الإنسان أو ذمامته، كما قال عليه الصلاة والسلام "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم"[١]، وأن غنى العبد أو فقره ليس مقياساً للتفاضل بين الخلق، كما جاء في رواية للحديث "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٢]، وجاءت القاعدة القرآنية الكبرى التي جعلت الناس سواسية أمام الله سبحانه وأن معيار التفاضل بينهم هو القرب من الله، فقال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[٣]غير أن أعداء الرسل لا يقرون بهذا التساوي ولا يؤمنون بهذه العدالة، وإنما يبحثون عن التفاوت الاجتماعي وإحداث الطبقية ليكونوا هم السادة والأعيان، ومَنْ دونهم العبيد، وقد أشار الأستاذ عفيف طبارة إلى طبيعة الملأ والأشراف على عهد نوح عليه السلام، فقال "من عهد نوح يعرض القرآنطبيعة المجتمع الإنساني الذي ينقسم إلى طبقتين: طبقة الأشراف والأغنياء، ....، وطبقة العمال والفقراء..، فالقرآن يصور لنا في قصة نوح أن الطبقة الفقيرة العاملة هي التي تستجيب لدعوة الرسل لما فيها من عدالة ومساواة ورحمة تسوي بينهم وبين الأغنياء، وتنصفهم من ظالميهم ومستغليهم، ولكن طبقة الأشراف والأغنياء تمردّت على دعوة نوح وخاطبته بهذا الكلام وأمثاله "ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي"[٤]، هذا القول يصف نسق تفكيرهم الذي امتزج بالكبرياء والبطر، كما

---

[١] رواه الإمام مسلم في صحيحه، ك البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ص ١٣٤٤ حديث رقم ٢٥٦٤

[٢] المصدر السابق ، ص ١٣٤٤ حديث رقم ٢٥٦٤

[٣] سورة الحجرات، الآية رقم ١٣

[٤] جزء آية من سورة هود رقم ٢٧

يخاطبون الطبقة الفقيرة "وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين"[١]، أي أنهم أفضل منهم فلا مجال لأن يلتقوا معهم عند أي معتقد أو كفاح مشترك، ويظهر أن طبقة الأشراف قد وعدت نوحاً بأن تجتمع به وتتقبل دعوتـــه إذا طرد هؤلاء العمال والفقراء من مجلسه ومعيته، ولكن نوحاً أبى ذلك وجابههم قائلاً "وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون * ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون"[٢]، ثم يتابع نوح تفنيد مزاعمهم "ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم"[٣]، فالقرآن منذ أربعة عشر قرناً عمل على تحطيم هـــذا التفـــاوت الاجتماعي بما جاء فيه من آيات تحث على المساواة بين الناس"[٤].

– ويظهر من ذلك أن نغمة التغني بالطبقية قديمة قِدم الزمان، وأنها مـــن القواسم المشتركة بين أعداء الرسل، إلى أن تسربت إلى العصور المتـــأخرة، وتشربتها قلوب أهل الغطرسة والكبر، وتغافلوا عن أصل خلقتهم، وأن نســـب الجميع ينتهي إلى آدم عليه السلام، وآدم من تراب، كما تغافلوا عن التكريم الذي حظي به الإنسان أجمع، في قوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً"[٥].

– وتناسوا أن من صور التكريم أن الله خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه مـــن روحه، وأسجد له ملائكته، وركب فيه العقل، وفطره على الفطرة السوية، وحرَّم الاعتداء على ماله ودمه وعرضه، بغض النظر عن اتجاهه أو معتقده، فمع كل هذا التكريم الذي ناله الإنسان، أعرض عنه أهل الثراء والبطـــر، وأبـــوا إلا الجاهلية الأولى، وتقسيم الناس حسب دخلهم الاجتماعي ومقدراتهم الاقتصادية، وهذا ما رفضه الإسلام مطلقاً، وأعلنه نوح عليه السلام لقومه بكل وضوح وجلاء.

---

[١] جزء من آية من سورة هود رقم ٢٧

[٢] الآيتان من سورة هود، رقم ٢٩-٣٠

[٣] جزء آية من سورة هود رقم ٣١

[٤] مع الأنبياء، مصدر سابق ، ص٧٩

[٥] سورة الإسراء، الآية رقم ٧٠

هذا، وإن من علامات توفيق الله تعالى للداعية الحق أن يرزقـــه حســـن التوكل عليه، والالتجاء إليه في كشف الملمات، والاعتماد عليه في تخطـــي الشدائد، وهذا ما ستكون الدراسة حوله في ضوء المبحث التالي:

المبحث الرابع: "حسن التوكل على الله تعالى "

إن الداعية الذي أراد وجه ربه من وراء دعوته يستمد قوته من التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ، والاستعانة به في كل أحواله ، وهو بهذا قد أوى إلى ركن شديد، والناظر إلى حياة الأنبياء وسيرتهم يرى أن التوكل على الله سمة بارزة في دعوتهم ومن القواسم المشتركة بينهم، وقد أعلنوا ذلك لأقوامهم ، فقال سبحانه حاكيا عنهم "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)"[١]وكان في مقدمة هؤلاء جميعاً بل وعلى رأسهم نوح عليه السلام، فقد لجأ إلى ربه وتوكل عليه في كل أحواله ، ومن ذلك لما أعرض قومه عنه وعن دعوته فقال الله تعالى حاكياً على لسانه مخاطبته لقومه "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ"[٢]فانظر كيف أن نوحا عليه السلام استمد قوته في الرد على قومه من توكله على ربه ، ووثق في نصر الله له دون خوف من عاقبة قومه المستكبرين ، وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى مكانة التوكل على الله من قلب نوح عليه السلام، فقال "يأمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ أن يتلو على قومه قصة نوح وهو يقول يا قوم إن كان قد ثقل عليكم إقامتي فيكم زمناً طويلاً، وتذكيري لكم بآيات الله فمللتم دعوتي ، فإني متوكل فيها على ربي الذي أرسلني ، وهو الذي يؤيدني وينصرني، فأجمعوا ما تريدون من أمركم مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله ، ثم لا يكن أمركم الذي تعتزمونه خفياً فيه شيء من الحيرة واللبس الذي يقتضي التردد في الإنفاذ ، ثم أنفذوا إليَّ ذلك الأمر بعد إجماعه و اعتزامه، ولا تمهلون تأخير هذا القضاء، فإن انصرفتم عني فلاحق لكم في ذلك الإعراض، لأني ما سألتكم على هذا التذكير أجرًا ومكافاة ، وإنما أطلب الأجر من ربي الذي أرسلني، وقد أمرت أن أكون من المذعنين لما أدعوكم إليه، أسلمتم أم

---

[١] الآيتان من سورة إبراهيم، رقم ١٢

[٢] سورة يونس، الآية رقم ٧١

كفرتم "[١] ويلاحظ أن المتوكل على ربه لا يخاف بطش عدوه، ولا يتهيب ردود أفعاله، وأن المتوكل على الله ينشر دعوته ويبين رسالته في وضوح كامل، وأن المتوكل على ربه المخلص في دعوته الذي لا يطلب أجـرًا ولا ينتظر مالاً ، يزداد توكله وتظهر شجاعته، ويُرىإقدامه ، لأنه أخذ بأسباب العزة والنصرة والمنعة وهي حسن توكله على ربه، ويشير الشيخ محمد العدوي إلى أن الداعية يتعين عليه مواصلة الطريق في الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده وألا ييأس بطول مدة الدعوة ، وكثرة المعرضين ، لأن المتوكل على ربه لا يعرف مللاً ولا فتوراً فيقول "وفي القصة من العبر أنه إذا سئم المدعوّون منطول مدة الدعوة فليس للداعي أن يسأم ، واعتماد الداعي في دعوته على ربه، لأن ذلك يملأ قلبه شجاعة وأملاً، واستهانته بكل ما يلاقي في سبيل الدعوة ، ويمحص قلبه، ويرفع منزلته ، فهذا نبي الله نوح لا يبالي بتجمع قومه عليه، واستعانتهم بشركائهم ويأمرهم بأن يجمعوا أمرهم، وينفذوا قضاءهم فيه، لأنه واثق بأن النصر حليفه والعاقبة له ولأنصاره"[٢] وهذا هو قمة التطبيق العملي والواقع الدعوي لأمر التوحيد في الاستعانة بالله والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه ﷻ.

– وكما أن نوحا ﵇ توكل على الله حق توكله حال دعوته فإنه قد أشار إلى قومه بعدم مبالاته من تخويفه بآلهتهم الباطلة وأربابهم المزعومة، وفي هذا تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع ولا يضر إلا من بيده مقاليد الأمور ﷻ، ويشير الأستاذ عفيف طبارة إلى هذا المعنى ويتابع الشيخ محمد العدوي على ما ذكره ، فيقول "يا قوم إن كان وجودي فيكم لتبليغ رسالة ربي قد أصبح شديداً عليكم فإني مستمر مثابرعلى دعوتي متوكل على الله، فاحزموا أمركم وافعلوا بي ما بدا لكم مستعينين بشركائكم الذين يؤمنون بالآلهة الباطلة، ولا يكن في عدائكم لي وإيذائي أيخفاء، بل كاشفوني به ولا تمهلوني فيما تريدون بي من سوء، إن كنتم تقدرون على إيذائي ، ولكنكم لن تقدروا على تنفيذ غـايتكم لأن ربي

---

[١]دعوة الرسل، الشيخ محمد أحمد العدوى، ص٣

[٢] المصدر السابق، ص ٣-٤

يرعاني برحمته"[١]

ومن فوائد التوكل على الله في المجال الدعوي :

١) عدم تهيب قول الحق ما دام أنه في ضوء الحكمة والموعظة الحسنة ، وأنه إذا أصابه أذى فهو من الأمور المقدرة التي تكفر السيئات وترفع الدرجات.

٢) الجرأة في مناظرة الخصوم وأعداء الدعوة بلسان قوي وحجة ظاهرة دون تلعثم أو تردد، وعدم الخوف من عاقبة ذلك، فإن مآل الأمور بيد الله سبحانه.

٣) استمرارية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الضوابط الشرعية والقواعد المرعية ، وعدم المبالاة بملامة اللائمين، أو سخرية المستهزئين ، لأن قلب المتوكل على ربه حي يقظ لا يلتفت إلا لتبليغ الدعوة وتحصيل المقصود، والرغبة فيما عند الله تعالى.

هذا، وإن نوحاً عليه السلام لما استخدم كل الوسائل والأساليب المتاحة والمناسبة لعصره دعوة قومه، وكان موقفهم الصد الواضح والعناد الشديد، لجأ إلى ربه وشرع في الدعاء عليهم، جزاءً وفاقاً لما اقترفوه، فاستجاب الله دعوته، ولبى طلبه، وأهلكهم جميعاً، إلا من آمن منهم ، وهم قلة ، وهذا ما ستتم الدراسة حوله في ضوء المبحث التالي والأخير.

---

[١] مع الأنبياء ص ٦٧

المبحث الخامس: "شرعية الدعاء"

من أعظم القربات التي يتقرب بها الناس عامة والدعاة منهم خاصة لله سبحانه عبادة الدعاء ، فبه يأتي الخير، وبسببه يرفع الله الضر والبلاء، ويدفع شر أهل المكائد لاسيما وقت المخاطر، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالتقرب إليه بالدعاء ، ووعدهم بتلبية مطالبهم واستجابة ما أرادوا من خيري الدنيا والآخرة ، فقال تعالى "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"[١]واستجاب أهل الإيمان لهذا الأمر الإلهي، وكان في مقدمتهم أنبياء الله ورسله، وعلى رأسهم أول رسول أرسله الله إلى الأرض نوح عليه السلام ، ففي جانب النفع والخير قال الله تعالى عنه " رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات "[٢] وفي جانب دفع الضر والمكروه والأذى أخبر الله سبحانه عنه بقوله "وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً"[٣] وقد استجاب الله دعوته فنجي أهله والمؤمنين، وأهلك المتمردين المعاندين، فقال سبحانه " وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)"[٤]فبيقين الداعية وثقته في نصر ربه له يشعر بالأمان ويطمئن قلبه وتستقر نفسه ، ويعلم أن العاقبة له ولسائر أهل الايمان ، وقد أشار الشيخ محمد العدوي إلى مشروعية الدعاء على الصادين عن الدعوة ، المعرقلين سيرها ، فقال "بعد أن عيل صبره ، ونفدت جميع أساليبه في الدعوة إلى الله ، أخذ يدعو عليهم " ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً"[٥]"رب لا تذر على الأرض

---

[١] جزء آية من سورة غافر، رقم ٦٠

[٢] جزء آية من سورة نوح، رقم ٢٨

[٣] سورة نوح، الآية، رقم ٢٦

[٤] الآيتان من سورة الأنبياء رقم ٧٦-٧٧

[٥] جزء آية من سورة نوح، رقم ٢٤

من الكافرين دياراً"[١] وعلل ذلك بقوله "إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفاراً"[٢] ، فإنهم أئمة الضلال، ورؤوس الكفر، وما داموا على ذلك الحال فهم خطر على كل موحد، وحجر عثرة في سبيل الإصلاح، لذلك دعا الله أن لا يدع على وجه الأرض واحدا منهم، لأنه إن تركهم أضلوا عباده ، وإن ولدوا نشئوا أولادهم على الشرك ، وربوهم على الكفر:[٣]

ويستفاد في ضوء ذلك ما يلي :

(١) أن الداعية يستخدم كل وسائل وأساليب الهداية والبيـــان لإرشـــاد المدعوين إلى الحق والعدل، وأن يستفرغ وسعه للأخذ بأيدهم إلى الصــــراط المستقيم والمنهج القويم ، وأن الدعاء عليهم لا يكون إلا بعد نفاد كل الســـبل وسد الطرق، وهذا ما تعلمناه من دعوة نوح عليه السلام، فإنه أخذ بكل أسباب هداية قومه ، وظل فترة طويلة من الزمان يدلهم على الخير ويحثهم على الاستقامة ويرغبهم فيما عند الله وينذرهم بطش ربهم وعذابه، إلى أن نزل عليه قولـــه سبحانه " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[٤] فلما أيقن عليه السلام استحالة إيمان قومه دعـــا علـــيهم بـــالهلاك والعذاب المستأصل

(٢) أنه لا تناقض بين الوحى ، حيث إن الكل من عند الله تعالى، فقوله تعالى "إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا"[٥] لا يتناقض مع مع قول النبي ﷺ في الحديث المشهور " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٦] لأن الآية القرآنية لا تتحدث عن

---

[١] جزء آية من سورة نوح، رقم ٢٦

[٢] سورة نوح الآية رقم ٢٧

[٣] دعوة الرسل، ص١٧

[٤] سورة هود، الآية رقم ٣٦

[٥] سورة نوح ، الآية رقم ٢٧

[٦] جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ك الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يُعرض على الصبي الإسلام جــ١ ، ص ٣١٣ ، حديث رقم (١٣٥٨)

أصل النشأة ، وإنما أرادت عامل التربية وطريقة التوجيه، وهو ما يتوافق مع النص : (فأبواه يهودانه) ، أي أن عامل التربية بالتوجيه إلى الضلال هــو سبب التحول ، لا أنه وُلد على الكفر، وبهذا يظهر أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وحي من الله سبحانه، والــوحى لا يقبــل التنــاقض ولا الاضطراب

(٣) على الدعاة التفريق بين المعرض عن الدعوة والصاد عنها، فالصنف الأول يُدعى له ويرجى من ورائه الخير، وأن الأمر يــتلخص فــي كيفيــة الوصول إلى قلبه ومخاطبة عقله ومشاعره ، بخلاف الصاد عن الــدعوة ، المعاند لها ، المحارب لأهلها ، المؤلب للأعداء عليها، فإنه بعد استفراغ الوسع في دعوته فإنه لا مانع من الدعاء عليه ، وهذا ما تم استنباطه مــن ســياق الآيات التي أخبرت عن دعاء نوح ﷺ على قومه.

هذا، وبانتهاء هذا المبحث من هذا الفصل تنتهي الدراسة، ويتوجه الباحث إلى الخاتمة.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

بعد إتمام البحث وإنجاز دراسته بعون الله تعالى، أذكر أهم نتائج البحث فيما يلي:

١. أن الأصل الأصيل في الدعوة البدء بالتوحيد وتوجيه المدعوين للعناية به.

٢. أن دعوة نوح ﷺ استمرت دون انقطاع رغم الصدود الواضح من قومه.

٣. إرشاد الدعاة إلى الجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة كما صنع نوح ﷺ مع قومه.

٤. عدم إغفال جانب الدعوة بالآيات الإنسانية والكونية، لأن هذا يُعد من مواكبة العصر.

٥. تمكن الداعية من الجدال الحسن، يجعله يقيم الحجة على قومه، ويعذر نفسه أمام ربه.

٦. عدم النظر إلى ما في أيدي المدعوين من متاع الدنيا يدل على صدق الداعي في دعوته.

٧. رفض نبوة البشر يدل على نقصان عقول قوم نوح ﷺ.

٨. أن أتباع كل الرسل في بداية الأمر من الفقراء لما يرون من السماحة والمساواة.

٩. لم يسلم الرسل من التهم والتهكم بهم بداية من نوح ﷺ وختاماً برسول الله ﷺ.

١٠. دقة وصف القرآن لأمر الطوفان دلالة على ما وصل إليه القرآن من كمال البلاغة.

١١. إخبار القرآن عن الحقائق العلمية يدل على أن القرآن منزل من عند

الله وليس من البشر.

١٢. المساواة بين الناس في الشكل والمظهر وأن الفارق هو المضمون والمخبَر.

١٣. حسن توكل الداعية على ربه يعطيه عزيمة قوية يستغلها لصالح الدعوة.

١٤. أن المعرض عن الدعوة يُدعى له بالهداية، بخلاف الصاد عنها فلا مانع من الدعاء عليه.

ثانياً: التوصيات:

بعد ذكر أهم النتائج أوصي بأهم المقترحات التالية:

١. دراسة سائر أولي العزم من الرسل عند الشيخين محمد العدوي وعفيف طبارة، دارسة تحليلية، خدمة للمجال الدعوي، ووضعا للمنهجية الدعوية أمام الدعاة.

٢. دراسة وصفية لموقف أقوام الرسل من دعوة الرسل وأثر ذلك على الدعوة، ليتجنب المدعون ما وقع فيه أعداء الرسل.

٣. إخراج موسوعة دعوية تُغني بمنهجية الرسل حال دعوة أقوامهم، بمشاركة أهل التخصص، تحت إشراف ورعاية جامعة الأزهر الشريف، للبعد عن الغلو، وللحفاظ على الوسطية.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

١) تفسير القرآن العظيم .. للحافظ ابن كثير، الناشـــر: دار طيبـــة للنشـــر والتوزيع ط٢، ١٤٢٠ هـــ - ١٩٩٩م .
٢) التوجيه العقدي عند الشيخ عفيف طبارة ت ١٤٤٤هـــ من خلال كتـــاب روح القرآن، حسني محمد أبو دهب، قسم الدراسات الإسلامية ، كليـــة الآداب ، مجلة كلية الآداب، بالوادي الجديد .
٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى، الشيخ محمد أحمد العدوي، اعتنى بـــه أبـــو عبدالله عمرو الشرقاوي، مركز تفكر للبحوث والدراسات .
٤) دعوة الرسل إلى الله تعالى، تأليف الشيخ محمد العدوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـــ - ١٩٣٥م
٥) سنن الإمام الترمذي، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، شـــركة مكتبـــة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ٢ ١٣٩٥هـــ - ١٩٧٥م
٦) صحيح الإمام البخاري. الناشر دار طوق النجاة ، ط (١)١٤٢٢هـــ.
٧) صحيح الإمام مسلم. الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٨) عفيف طبارة والثقافة الإسلامية في لبنان، رضوان السيد، أساس ميـــديا، منشور ١٩/ ٩/ ٢٠٢٢ م.
٩) مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا، عدد (٤٥٨).
١٠) مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علـــي رضـــا، ت ١٢٥٤ هـــ وغيره من كتاب المجلة.
١١) المستدرك على الصيحين، للإمام الحاكم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ هـــ - ١٩٩٠م.
١٢) المستفاد من تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، د/ فرج محمد الوصـــيف، ط (٣) ١٤٣٥، ٢٠١٤م
١٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم، قصص ودروس وعبر من حياتهم، عفيف

طبارة،ط. ١٥، سنة ١٩٨٥ م، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.
١٤) المعارك الأدبية، أحمد أنور سيد أحمد الجندي، ت ١٤٢٢ هـ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٨٣ م.
١٥) موسوعة ويكيبيديا الحرة.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

1) tafsir alquran aleazim .. lilhafiz abn kathir, alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie ta2, 1420 hi - 1999m.
2) altawjih aleaqdiu eind alshaykh eafif tabaarat t 1444hi min khilal kitab ruh alqurani, husni muhamad 'abu dihba, qism aldirasat al'iislamiat , kuliyat aladab , majalat kuliyat aladab, bialwadi aljadidi.
3) daewat alrusul 'iilaa allah taealaa, alshaykh muhamad 'ahmad aleadwi, aietanaa bih 'abu eabdallah eamrw alsharqawi, markaz tafakir lilbuhuth waldirasati.
4) daewat alrusul 'iilaa allah taealaa, talif alshaykh muhamad aleadwi, matbaeat mustafaa albabi alhalabii wa'awladuh bimasr, 1354hi - 1935m
5) sunan al'iimam altirmadhi, tahqiq alshaykhi: 'ahmad muhamad shakiri, sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalbi- masr, t 2 1395h - 1975m
6) sahih al'iimam albukhariu. alnaashir dar tawq alnajat , t (1)1422h .
7) sahih al'iimam muslima. alnaashir dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut.
8) eafif tabarat walthaqafat al'iislamiat fi lubnan, ridwan alsayida, 'asas midya, manshur 19/ 9/ 2022 m.
9) majalat alrisalati, 'ahmad hasan alzayaat basha, eadad (458).
10) majalat almunari, majmueat min almualifina, muhamad rashid bin ealiin rida, t 1254 ha waghayrih min kitab almajalati.
11) almustadrik ealaa alsayhayni, lil'iimam alhakimi, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta1, 1411 hi - 1990m.
12) almustafad min tarikh aldaewat 'iilaa allah taealaa, da/ faraj muhamad alwasif, t (3) 1435, 2014m

13) mae al'anbia' fi alquran alkarimi, qasas wadurus waeabr min hayaatihim, eafif tabarat,ta. 15, sanat 1985 mu, dar aleilm lilmalayin - bayrut - lubnan.
14) almaearik al'adabiatu, 'ahmad 'anwar sayid 'ahmad aljundi, t 1422 ha, alnaashir maktabat al'anjilu almisriatu, t 1983 mi.
15) mawsueat wikibidya alharatu.